

المكتبة الصغيرة



محمّد عبد الحميد مراد

مراثي صالح

المكتبة الصّغيرة

٢٩

مدائن صالح
تلك الأعجوبة

محمد عبد الحميد مرّاد

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية منقحة ومزودة
شعبان ١٣٩٩ هـ
يوليه ١٩٧٩ م

[العناوين للخطاط السعودي محمد كليب الحارثي]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى جعل الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ، وألهم سكان الأرض اتخاذ المساكن لتكون عبدة ، ونحت الجبال لتكون آثاراً باقية ، وخلق الموت والحياة ليبلو عباده أيهم أحسن عملاً ، ليجزى الذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، والذين أساءوا بالعقاب والنكال . وأشهد أن لا اله الا الله الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، وجعل له عينين لينظر ويتعظ ، ورجلين ليسيير في الأرض فينظر كيف كان عاقبة الذين من قبل ، كم كانوا أكثر منه وأشد قوة وآثاراً في الأرض .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ، فأوضح الطريق وهدى الأمة الى الصراط المستقيم وجاهد في الله حق جهاده ، فسار في الأرض مجاهداً مع صحبه الأبرار ، ومر على ديار ثمود ، فأمر جيشه بالاسراع وخوفه من دخول مساكن الذين ظلموا انفسهم الا للعة والاعتبار ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأبرار .

وبعد ؛

فهذا كتاب يحتوى على تاريخ قوم صالح عليه السلام ومدائنهم ، وما فيها من جبال ، وعيون ، وآبار ، وهضاب ،

وصحارى ، وزروع ، وآثار ، وما نزل فيهم من قرآن ، وما
ورد من حديث وآثار وأخبار ، وما قيل فيهم من أمثال
وأشعار .

لقد سرت في بلادهم مطبقاً قوله تعالى : (قل سيروا في الأرض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فنظرت الى ديارهم وآثارهم
كيف بقيت عبرة لغيرهم وعقوبة لهم ، لعدم طاعتهم أوامر الرب
سبحانه وتعالى ، ولا ارتكابهم زواجره ، وعدم انتهائهم عما نهوا
عنه ، فمكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين .

ولقد رسمت في كتيبى هذا ما قدرت عليه من المشاهد ،
وحددت أسماء البقاع والقرى والسهول والآبار المطمورة ،
والعيون الفائرة ، والجبال المنعوتة ، على قدر استطاعتي ودرايتي ،
وسماعي من البدو المجاورين لهذه المدائن ، والمرتادين لها في
أسفارهم ورحلاتهم .. ولم أعتد على ما في الكتب القديمة من
مبالغات سقيمة ، وخرافات سخيفة .. كما قال بعض المفسرين
ناقلاً عن بعض الاسرائيليات : ان مدائن صالح تزيد عن ألف
مدينة خلاف القرى ، فان مثل هذه الأخبار بعيدة عن الصحة .

وفيما أعلم فانه لم ينفرد مؤلف بتأليف كتاب خاص عن
هذه المدائن من العرب ، لذلك أرجو أن يكون هذا المؤلف
الصغير ، قد قام بقسط من البحث والتنقيب ، والتحقيق ،
ليكون دليلاً ومرشداً .. فان وجد فيه خطأ ، فهو اما من الرواة ،
أو من نقلت عنهم من المؤلفين .

ولا أزعج اننى كتبت كل شئ عن مدائن صالح ، ولا انى

وقفت على كل ما فيها من الآثار ، انما كتبت ما شاهدت ووقفت عليه في المدة التي لم تتجاوز ثلاثة أشهر في رحلتى لهذه المدائن ، شهراً للحجر ، وشهرين لمجموع مدائن صالح ، وذلك بحسب ظروفى ، وقد كنت نشرت معظم فصول هذا الكتاب ، في الصحف والمجلات السعودية ، فأشار علي الكثير من الأصدقاء أن أجمع شتات ما نشرت في كتاب ليكون فاتحة للطريق .. فلبيت الطلب وتوكلت على الواحد الأحد ، وعسى أن أكون بذلك قد فتحت الطريق لمن يريد التوسع في هذا الميدان الفسيح ، فيزيد ما نقص ، ويقوم ما اعوج ..

والذين كتبوا عن البلاد العربية ، وتجولوا فيها ، وأناروا معالم الطريق لغيرهم ، جزاهم الله عن احياء التراث خير الجزاء ، وهؤلاء الاخوان الذين وقفت على كتابتهم والذين أذكركم وأشكرهم ، هم الأخوة : الأستاذ حمد الجاسر ، والأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، والأستاذ محمد أحمد العقيلي ، والأستاذ ابن بليهد ، والأستاذ شكيب أرسلان في الارتسامات اللطاف ، والأستاذ أمين الريحاني ، والأستاذ فؤاد حمزة ، والمستر فلبى ، والتميمي ، والرفيع ، وفردريك .. وغيرهم من الكتاب والمؤلفين والمحققين - الذين يستحقون الشكر والتقدير والاعجاب ، وهؤلاء هم خير من تجول ، وأنار الطريق في البلاد العربية ، وأرخ وكتب .

والآن .. ونحن في سنة ١٣٩٩ ، حينما أعدت النظر فيما كتبت ، لأقدم الكتاب الى القراء ، في طبعته الجديدة هذه ، أتيح لي أن أطلع على مصادر ومراجع ، لم أطلع عليها من قبل ، لمؤلفين

عرب ومستشرقين ، فكان أن أضفت بعض الزيادات ، وأجريت بعض التعديلات والتنقيحات ، وحذفت بعض ما رأيت حذفه ، مما لا يدخل في صلب الكتاب ، ولا يمس مشاهداتي الشخصية ، فعلت ذلك قدر استطاعتي ، وبقدر ما سمحت به ظروفى الصحية ، وهي ليست على ما يرام ، فانى أسأل الله أن أكون قد وفقت فى كل ذلك ، وأن يكون فيما صنعت ما يتفق مع الحقيقة ، ويرضى طلاب البحث .

ولا يفوتنى أن أذكر أن هناك نفراً من المحبين والأصدقاء المخلصين تضافرت جهودهم لآخراج هذا الكتاب على النحو الذى خرج به ، من واجبى أن أشكرهم ، وكان بودى أن أذكر أسماءهم لولا اصرارهم على أن لا أفعل ، امعناً فى الفضل . فجزاهم الله عنى خير الجزاء وما توفيقى الا بالله ٢

محمد عبد الحميد مرداد

عناصر البحث

١ - تمهيد عن ثمود

٢ - دولة ثمود

٣ - معجم المدائن

٤ - المعالم والآثار

٥ - الرحلة

٦ - خلاصة التحقيق

تمهيد عن ثمود

في القرآن الكريم

١ - في سورة الأعراف - الآية ٧٢ الى الآية ٧٩ قال جل شأنه : (والى ثمود أخاهم صالحاً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم ، واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تمنوا في الأرض مقسدين . قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون ففعلوا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا : يا صالح اثنتا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) .

٢ - في سورة (التوبة) - الآية ٦٩ (ألم يأتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ..) الآية .

٣ - في سورة (هود) الآية ٦٠ الى الآية ٦٨ (والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب ، قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد أبائنا وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب ، قال : يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه

رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير . وياقوم هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في أرض الله ، ولا تمسوها بسوء ، فيأخذكم عذاب قريب . فعقروها فقال : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب . فلما جاء أمرنا نجيتنا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ، ومن خزي يومئذ ، ان ربك هو القوي العزيز . وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جائعين . كأن لم يغنوا فيها ، ألا ان ثمود كفروا ربهم ، ألا بعداً لثمود) .

٤ - في سورة (الحجر) - الآية ٧٩ - الى الآية ٨٤ : (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين . وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين ، فأخذتهم الصيحة مصبحين ، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) .

٥ - في سورة (الاسراء) - الآية ٥٨ : (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون . وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفاً) .
٦ - في سورة (الحج) - الآية ٤١ : (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود) .

٧ - في سورة (الفرقان) الآية ٣٧ و ٣٨ : (وعاداً وثمود وأصحاب الرس ، وقروناً بين ذلك كثيراً . وكلا ضربنا له الأمثال ، وكلا تبرنا تتبيرا) .

٨ - في سورة (الشعراء) - الآية ١٤٠ - ١٥٩ : (كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر ان

اجرى الا على رب العالمين . أتتركون فيما هاهنا آمنين . فى جنات و عيون ، وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون . قالوا انما أنت من المسحرين . ما أنت الا بشر مثلنا فأت بأية ان كنت من الصادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم . فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . ان ربك لهو العزيز الرحيم) .

٩ - فى سورة (النمل) - الآية ٤٤ الى الآية ٥٣ : (ولقد ارسلنا الى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون . قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون . قالوا اطيرنا بك وبمن معك . قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون . وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون . ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكروهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

١٠ - فى سورة (العنكبوت) - الآية ٣٧ : (وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) .

١١ - فى سورة (فصلت) - الآفة ١٦ - ١٧ : (واما
ثمود فهففناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب
الهُون بما كانوا فكسبون ، ونففنا الالف آمنوا وكانوا فثقفون).
١٢ - فى سورة (الفارفات) - الآفة ٤٢ - ٤٥ : (وفى
ثمود اذ قفل لهم فتمتعوا ففى ففن . فففوا عن أمر ربهم فأخذتهم
الصاعقة وهم فنففرون . فما استطاعوا من قفام وما كانوا
منتصرفن) .

١٣ - فى سورة (النجم) - الآفة ٥٠ : (وثمود فما ابقى) .
١٤ - فى سورة (القمر) - الآفة ٢٢ - ٣١ : (كذبت
ثمود بالنذر فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه انا اذاً لفى ضلال
وسفر . أءلفى الذكر ففله من ففنا بل هو كذاب أشر ففعلمون
غداً من الكذاب الأشر . انا مرسلوا الناقاة ففنة لهم فارتقبهم
واضطرب . ونبئهم أن الماء قسمة ففنفهم كل شرب فحتضر .
فنادوا صاحبهم ففعاظى ففقر . فكفف كان عذابى ونذر . انا
أرسلنا فففهم صففة واحدة فكانوا كهشفم الفحظر) .

١٥ - فى سورة (الفاقة) - الآفة ٣ - ٤ : (كذبت ثمود
وعاد بالقارعة . فاما ثمود فاهلكوا بالطاغفة) .

١٦ - فى سورة (البروف) - الآفة ١٦ - ١٧ : (هل
اتاك فففث الففود . فرعون وثمود) .

١٧ - فى سورة (الشمس) - الآفة ١٠ - ١٥ : (كذبت
ثمود بطفوها . اذ انبعث أشقاها . فقال لهم رسول الله : ناقة
الله وسقفاها . فكذبوه فففروها . ففدمم فففهم ربهم بذنفهم
فسواها ولا ففاف عفاها) .

ففي كتب التراث العربي

أ - في التفسير والحديث

ننقل هنا ما روي عن بعض المفسرين ، كالألوسي والميني ، ابن جرير ، والبغوي ، وابن كثير وغيرهم :

ورد عن محمد بن اسحق ووهب وغيرهما من الرواة أن عاداً لما هلكت وانقضى أمرها ، عمرت بعدها ثمود ، واستخلفوا في الأرض ، فدخلوا فيها وكثروا وعمرُوا حتى جعل أحدهم يبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً ، وكانوا في سعة من معاشهم ، فعثوا وفسدوا في الأرض ، وعبدوا غير الله ، فبعث الله اليهم صالحاً عليه السلام ، وكانوا قوماً عرباً ، وكان صالح عليه السلام من أوسطهم نسباً ، وأفضلهم حسباً وموضعاً ، فبعثه الله اليهم غلاماً شاباً ، فدعاهم الى عباد الله حتى شمت وكبر ، لا يتبعه منهم الا القليل المستضعفون ، فلما ألح عليهم بالدعاء والتبليغ ، وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يريهم آية تكون مصداقاً لما يقول ، فقال لهم : أي آية تريدون ؟ قالوا : تخرج معنا الى عيدنا . وكان لهم عيد يخرجون فيه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة ، فخرج معهم ، فقالوا : تدعو الهك وتدعو آلهتنا ، فان استجيب لك اتبعناك ، وان استجيب لنا اتبعتنا . فقال لهم صالح : نعم . فخرجوا الى عيدهم ، وخرج معهم صالح فدعوا أوثانهم ، وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعوه به . ثم قال جندع بن عمرو بن حراش . وهو يومئذ سيد ثمود : يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة ، وكانت صخرة منفردة في

ناحية الحجر اسمها (الناجية) (الناجية قرية تتوسط الحجر)
 - أخرج لنا ناقة مخترجة (المخترجة ما شاكلت البخت من الابل)
 جوفاء وبراء عشاء ، فان فعلت صدقناك وآمننا بك . فأخذ
 عليهم صالح العهود والمواثيق ، ثم سجد لله ودعاه ، وتمخضت الصخرة ،
 اليه سبحانه وتعالى فاستجاب الله دعاه ، وتمخضت الصخرة ،
 تمخض النتوج بولدها ، ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة
 عشاء جوفاء وبراء ، كما وصفوا وطلبوا لا يعلم ما بين جنبتيها
 عظما الا الله ، وهم ينظرون ، ثم نتجت سقبا مثلها في العظم ،
 فأمن به جندع بن عمرو ، ورهط من قومه . ولما أراد أشراف
 ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه نهاهم ذؤاب بن عمرو ، والحباب
 صاحب أوثانهم ، ورباب بن صمعر ، وهو كاهنهم ، وهؤلاء
 الثلاثة من أشراف ثمود ، فلما خرجت الناقة ، قال لهم صالح
 عليه السلام : هذه ناقة الله لكم آية .. الآيات . فمكثت الناقة ،
 ومعها سقبيها في أرض ثمود ، ترعى الشجر وتشرب الماء ، فكانت
 ترد غبا (أي يوماً بعد يوم) ، فاذا كان يومها وضعت رأسها في
 بئر الحجر ، يدعى بئر الناقة ، فما ترفع رأسها حتى تشرب الماء
 كله ، فلا تدع قطرة واحدة في البئر ، ثم ترفع رأسها حتى تفجح
 (أي تفرج ما بين رجليها) لهم فيحلبون ما شاءوا من لبن
 فيشربون ويدخرون حتى يملؤوا أوانيهم كلها ، ثم تصدر من غير
 الفج الذي وردت منه لأنها لا تقدر أن تصدر من حيث ترد ،
 حتى اذا كان يومهم من الشرب يشربون ما شاءوا ويدخرون
 ما شاءوا . ليوم الناقة فعاشوا في سعة ودعة ، وكانت الناقة تصيف
 اذا كان الحر بظلم الوادي فتهرب منها المواشي ،
 فتهدب الى بطن الوادي في حره وجنوده فكانت

تنفر منها المشية اذا رأتها ، وتشتو ببطن الوادى اذا كان الشتاء فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادى فى البرد والجذب فأضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار ، فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فأجمعوا على عقرها ، وكانت امرأتان من ثمود احدهما يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بأم غنم ، وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزاً مسنة وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم ، وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا ، وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة ، فكانت هذه وعنيزة من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام فأصرتا على عقر الناقة لما أضرت بهما ولما لحق مواشيهما من دعر ونفور وتشريد ، فتحيلتا فى عقر الناقة فدعت (صدوف) رجلاً من ثمود يقال له الحباب أمرته بعقر الناقة وعرضت نفسها عليه ان هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مخرج بن المحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وجهاً وأكثرهم مالا فأجابها الى ذلك ، ودعت عنيزة بنت غنم (قدار بن سالف) وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً ولم يكن (سالف) أباه ، اذ لا يعرف له أب وانما ولد على فراشه ، فقالت أعطيك أى بناتى شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزاً منيعاً فى قومه فانطلق هو ومصدع بن مخرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فصاروا تسعة ، ثم انطلق قدار ومصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار بن سالف فى أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع فى طريق آخر فمرت على مصدع فرماها بسهم فلم يفعل فيها شيئاً ، وخرجت أم غنم

(عنيزة) ، وأمرت ابنتها وكانت جميلة ومن أحسن الناس وجهاً فأسفرت لقدار ثم ذمرت ووعده فشده على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها (أي أظهره وفصله) فخرت ورغت رغبة واحدة تحذر سقبها ، ثم ان قداد بن سالف لما كشف عرقوبها طعنها في لبثها فنحرها وخرج أهل البلد واقتسموا لحمها وطبخوه ، فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا يقال له (صنو) ويقال له (قارة) وتسمنه ، فلما سمع صالح عليه السلام بعقر الناقة ، وجاءه قومه المؤمنون يصيحون : أدرك يا صالح ، ناقة الله فقد عقرت فأقبل ، وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه بقولهم : يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله إلى الجبل فتناول في السماء حتى لا تناله الطير ، وجاء صالح فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ، ثم رغا ثلاثاً وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل رغبة أجل يوم . (فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) . قال ابن كثير والبغوي رحمهما الله عن ابن اسحاق قال اتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين اشتركوا في عقر الناقة وفيهم مصدع ابن مهرج وأخوه ذؤاب بن مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فأنزله فألقوا لحمه مع لحم أمه فقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزءون به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك ؟ وكانوا يسمون الأيام بـ (الأول) ليوم الأحد و (أهون) للثنتين و (دبار) للثلاثاء و (خبار) للأربعاء و (مؤنس) للخميس و (العروبة) للجمعة

و (شيار) للسبت وكان عقرهم للناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ، ثم تصبحون غداة يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون غداة يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم (أول) فلما قال لهم ذلك قال تسعة رهط منهم هلموا فلنقتل صالحاً كما ورد في سورة النمل ، فأتوه ليلاً لبييتوه في أهله فوجدوه يصلي في مسجده ، فأقبلوا نحوه فأرسل الله الملائكة فدمغتهم بالحجارة فهلكوا عن آخرهم ، ولما أبطؤوا على أصحابهم أتوا مسجد صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ، ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبداً فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم بعد ثلاث فإن كان صادقاً لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضباً ، وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم ، فعند ذلك أيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه ، فخرج هارباً منهم حتى جاء الى بطن من ثمود يقال لهم (بنو غنم) فنزل على سيدهم وهو (نقيل) ويكنى أبا هذب وهو مشرك فغيبه عنهم ولم يقدرُوا عليه فغدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه ، فقال رجل من أصحاب صالح يقال له (مبدع بن هرم) : يا نبي الله انهم ليعذبوننا لنهديهم عليك أفندلهم ؟ قال نعم فدلهم عليه ، وأتوا أبا هذب فكلموه في ذلك فقال : نعم عندي صالح وليس لكم عليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه وسخطه ، فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم

فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل فلما أصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وبكوا فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا في اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا بأجمعهم ألا قد حضركم العذاب ، فلما كانت ليلة الأحد خرج صالح عليه السلام من بين أظهرهم ، ومن أسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين وقيل رحل الى خضر موت ومن معه من المؤمنين وكانوا نحواً من أربعة آلاف ، فلما أصبح القوم تحنطوا وتكفونوا وألقوا أنفسهم بالأرض يقلبون أبصارهم الى السماء مرة والى الأرض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من اليوم الرابع وهو يوم الأحد ، أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك ، الا جارية مقعدة يقال لها (ذريعة) فخرجت حتى أتت (قرح) وهو وادى القرى يفصل ما بين الحجاز والشام ، فأخبرتهم بما عاينته من العذاب وما أصاب ثمود . وذكر السدي في عقر الناقة ، ان الله جل ثناؤه أوحى الى صالح عليه السلام أن قومك سيعفرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا : ما كنا نفعل فقال صالح : انه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه . فقالوا لا يولد لنا ولد في هذا الشهر الا قتلناه ، قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ، ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك ، وكان هذا المولود أزرق أحمر فنبت نباتاً سريعاً ، وكان اذا مر بالتسعة قالوا لو كان أبناءنا أحياء لكانوا

مثل هذا ، فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله الخ الآيات . ثم قالوا نخرج من البلد ليرى الناس أنا قد خرجنا الى سفر فتأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتينا فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكننا فيه ، ثم انصرفنا الى رحلنا فقلنا ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا ويظنون أنا قد خرجنا الى سفر ، وكان صالح لا ينام معهم فى الحجر ، بل كان يبيت فى مسجد بعيد عن البلد يقال له (مسجد صالح) ، فاذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم واذا أمسى خرج الى مسجده للعبادة والتهجد فبات فيه ، فانطلقوا فدخلوا الغار ونفذوا خطتهم ولكن الله عصم نبيه وحفظه فسلط عليهم الملائكة كما تقدم الخ .

وقال السدي أيضاً وغيره من الرواة : لما ولد ابن العاشر يعنى (قدار) شب فى اليوم شباب غيره فى الجمعة ، وفى الشهر شباب غيره فى السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجونه به وصادف ذلك اليوم بيوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم ، وقالوا ما نصنع نحن باللبن لو كنا نأخذ هذا الماء الذى تشربه الناقة فنسقيه أنعامنا وحروثنا كان خيراً لنا ، فقال ابن العاشر هل لكم فى أن أعقرها لكم قالوا نعم الخ القصة .

وقال قتادة ومجاهد فى اخبار الله تعالى عن قوم ثمود لنبيهم صالح عليه السلام فى جوابهم له (قالوا انما أنت من المسحرين) بمعنى المسحورين يعنى من الذين لا عقل لهم بسبب السحر ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما : ان المسحرين هم الخلق والأظهر قول قتادة ومجاهد والشاهد فى ذلك قول الشاعر :

فان تسألينا فيم نحن قاننا عصافير من هذا الأنام المسحر

وقال أئمة التفسير كابن جرير والبلغوى وابن كثير وغيرهم من الثقات : أن الله سبحانه وتعالى حذر قوم ثمود ان هم أصابوا الناقة بسوء . فمكثت بين أظهرهم حيناً من الدهر ترد الماء وتأكل الورق والمرعى وينتفعون بلبنها يحلبون منها ما يكفيهم شرباً ورياً ، فلما طال عليهم الأمد وحضر أشقاهم وهو قدار بن سالف ، تماثلوا على قتلها وعقرها فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ، ذلك العذاب الذى زلزل أرضهم زلزلاً شديداً ففاصت بيوتهم التى فى السهول كلها فى جوف الرمال حيث ابتلعتها الأرض ثم جاءت الصيحة العظيمة فاقتلعت قلوب من كان داخل مغارات الجبال وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون لأنهم لم يتعظوا ولم يذكروا نعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة ، وجعلهم فى أمن من المحذورات وأنبت لهم من الجنات وفجر لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزروع والثمرات ونخل طلعتها هضيم ، أى جامع لجميع محاسن النخلة وما تحمله من رطب لذيذ جميل شهى ، ومن ذلك النخل نوع لا نوى لرطبه كما قال بعض المفسرين ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : انهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة فى الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة الى سكنائها ، وكانوا حاذقين متقنين ماهرين فى نحتها ونقشها كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ان الله أخبر عن طغاة ثمود ورءوسهم الذين كانوا دعاة قومهم الى الضلال والكفر وتكذيب صالح الى أن آل بهم الأمر الى عقر الناقة ، كما هموا بقتل صالح غيلة وأخبر سبحانه وتعالى عن التسعة المفسدين بقوله تعالى :

(وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) الخ الآيات ، وهم تسعة نفر ، ولقد غلب هؤلاء على أمر ثمود لأنهم كانوا كبارهم ورؤسائهم . وقال ابن عباس : هؤلاء هم الذين عقروا الناقة وصدر القتل عن رأيهم ومشورتهم قبحهم الله ولعنهم . وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس : كان أسماء هؤلاء التسعة : زعمى ، زعيم ، هرم ، هريم ، داب ، صواب ، رياب ، سطيع ، ثم قدار بن سالف عاقر الناقة أي الذي باشر ذلك بيده كما قال تعالى : (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) وقال تعالى : (إذا نبعث أشفاهها) . قال عطاء رحمه الله : كان قوم ثمود يقرضون الدراهم ويتعاملون بها ويساعدون أهل القرى والمدن المجاورة لكثرة أموالهم وتجارتهم . وروى الإمام مالك بسنده عن سعيد بن المسيب مثل ذلك . وقال قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض ، وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى في أخباره عن قولهم : (قالوا اطيننا بك وبمن معك) الخ الآيات ، إنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم ولأن الله أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت حتى قحطوا فقالوا أصابنا هذا الضرر وهذه الشدة من شؤمك وشؤم أصحابك قال : طائركم عند الله ، أي ما يصيبكم من الخير والشر فهو من عند الله وبأمره ومكتوب عليكم ، وسمى طائراً لنزوله بالسرعة على الإنسان فإنه لا شيء أسرع من القضاء المحتوم ، وقال ابن عباس في تفسير الآية الكريمة : (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً) الخ الآيات ، لقد أرسل الله الملائكة تلك الليلة أي ليلة هجومهم عليه ليقتلوه ، فنزلت الملائكة من السماء لحراسة دار صالح ومساجده التي يصلى فيها ، فلما أتوا مسجده شاهرين سيوفهم رمتهن الملائكة بالحجارة

من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة ، فقتلتهم عن آخرهم ، وقال مقاتل في تفسير قوله تعالى (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) قال : كان الناجون أربعة آلاف ، وقال مقاتل و قتادة والكلبي في تفسير قوله تعالى : (وكانوا مستبصرين) أي يرون أنفسهم أنهم على هدى وهم على باطل ، وقال الفراء : يعنى كانوا عقلاء ذوى بصائر ، وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى : (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي أدخلتهم جوف الأرض فغاروا هم ودورهم وجميع ما يملكونه على ظهر أراضيهم من بيوت في السهول وما تحويه روى الامام أحمد رحمه الله في عقر الناقة وعاقرها قدار بن سائف وتفسير قوله تعالى (اذ انبعث أشقاها) قال رحمه الله حدثنا ابن نمير بسنده الى عبد الله بن أبي زمرة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال : (اذ انبعث أشقاها) انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمرة ، رواه البخارى في التفسير ومسلم فى صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم ، وعن أبي مرثد عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : ألا أحدثك بأشقى الناس قال بلى قال رجلان : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا يعنى قرنه حتى تبتل منه هذه يعنى لحيته وقال قتادة في تفسير قوله تعالى (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها) أى جعل العقوبة نازلة عليهم على السواء وقال قتادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم فلما اشترك القوم في عقرها

دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها أي سوى الدمدمة عليهم جميعاً وعمهم بها فلم يفلت منهم أحد سوى الأمة ، التي كانت مقعدة كما تقدم من كلام المفسرين والقراء وقال أيضاً : سواها أي سوى بينهم في العذاب ، وقال علماء التفسير في الآية الكريمة (وثمود فما أبقى) أي لم يبق منهم أحد في مشارق الأرض ومغاربها سوى صالح عليه السلام ومن تبعه من المؤمنين رضي الله عنهم . وقال الجاحظ : قال علماء اللغة في قوله تعالى (فما أبقى) أي معظمهم ، يعنى معظم الكفار ولا يستفاد من الآية الإبادة النهائية وروى أبو داود في صحيحه عن ابن معين عن وهب عن ابن اسحاق عن بجير بن أبي بجير قال سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم فدفع عنه فلما خرج أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب أنتم نبشتهم عنه أصبتموه فابتدره الناس فاستخرجوا منه الفصن . روى أبو جعفر قال أخبرني موسى بن عقبة عن عبد الله ابن دينار عن عمران أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال لا تدخلن على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات . هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب

ماءهم يوم ورودها ، ومن حديث أبي طفيل قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة تبوك نزل الحجر فقال : أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية فبعث الله تعالى لهم الناقة آية فكانت تلج عليهم الخ الحديث قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلك الله من كانت منهم في مشارق الأرض ومغاربها الا رجلا واحداً كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله قالوا ومن ذلك الرجل يا رسول الله قال أبو رغال ، وفي رواية جابر قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخل أحد وفي رواية لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين ولا تشربوا من مائهم وفي رواية ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم ألا يشربوا من بئر بها ولا يسقوا منها فقالوا قد عجننا منها فأمرهم أن يعلفوا الابل العجين وأمرهم أن يهريقوا الماء الذي استقوه من آبارهم ، وفي رواية الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة ، وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الناقة فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها ، وأراهم مرتقى الفصيل من الجبل ، فمتوا عن أمر ربهم وعقروها فأهلك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها الا رجلا واحداً يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروا القبر بأسيا فهم وحفروا عنه واستخرجوا

ذلك الفصن وروى الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما مر بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين الخ الحديث قال ثم تقنع بردائه وهو على الرجل ، وفي رواية عبد الرزاق عن معمر قال ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادي قال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى (اذ انبعث أشقاه) أى أشقى القبيلة وهو الذى قال الله فيه (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) ، قال ابن جرير والأئمة كان هذا الرجل وهو قدار بن سالف رجلاً عزيزاً فيهم شريفاً عارماً رئيساً فى قومه مطاعاً وذكر ابن كثير بسنده عن أبى كبشة الأنمارى رضى الله عنه عن أبيه قال لما كان فى غزوة تبوك تسارع الناس الى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى فى الناس : (الصلاة جامعة) قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسسك بعنزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم : نعجب منهم يا رسول الله قال (أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فان الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً وسيأتى قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً) .

ب - فى التاريخ والسيرة

كذلك لم نعتد فى النقل منهما الا على ثقات المؤرخين مثل ابن جرير وابن الأثير وابن قتيبة فى عيون الأخبار وفى السيرة مثل سيرة ابن هشام وابن اسحاق وابن حجر فى المواهب

والزرقاني والسيرة الحلبية وقصص القرآن للشعالبي وغير ذلك مما يعتمد ويوثق به ، قال ابن الأثير ان ثمود هو أحد حفدة ارم بن سام بن نوح و ثمود هذا هو جد القبائل التي كانت مساكنهم بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا فبعث الله اليهم صالحاً عليه السلام وهو صالح بن عبيد بن أسف ، يدعوهم الى التوحيد فقالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ، وكان الله قد أطال أعمارهم حتى نحتوا من الجبال بيوتاً كما أخبر سبحانه وتعالى ، وكانوا في سعة من العيش فأرسل الله اليهم صالحاً عليه السلام يدعوهم الى عبادة الله وحده ونبد الأصنام ، فلم يتبعه منهم الا القليل المستضعفون ، فلما ألح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا : يا صالح اخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم ، فأرنا آية فتدعو الهك وتدعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرجوا بأصنامهم ، وصالح معهم ، فدعوا أصنامهم أن لا يستجاب لصالح ما يدعو به وقال له سيدهم يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة ، لصخرة منفردة ناقة عشراء جوفاء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم الموائيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عز وجل فاذا هي تتمنض كما تتمنض الحامل ثم انفجرت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت سقياً مثلها في العظم فأمن به سيد قومه واسمه جندع بن عمرو ورهط من قومه ، فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه الناقة (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) ومتى عقرتموها أهلككم الله فكان شربها يوماً وشربهم يوماً معلوماً فاذا كان يوم شربها

خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملؤوا كل وعاء واناء واذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيئاً وتزودوا من الماء للغد فأوحى الله الى صالح أن قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل قال لا تعقروها أنتم ولكن يوشك أن يولد فيكم مولود يعقروها قالوا ما علامته فوالله لا نجده الا قتلناه قال فانه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر قال فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن رغب له عن المناكح وللآخر ابنة لا يجد لها كفواً فزوج أحدهما ابنه بابنة الآخر ، فولدت بينهما المولود المشؤوم الخ ما ساقه ابن الأثير وقال ابن جرير وابن الأثير وجملة من أصحاب السير ، فلما قال لهم صالح انما يعقروها مولود فيكم اختاروا قوايل من أهل البلد وجعلوا معهم حراساً يطوفون في البلاد فاذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ما هو فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن هذا الذى يريد نبي الله صالح فأراد الحراس الرقباء أن يأخذوه فحال جداه بينهم وبينه وقالوا لو أراد صالح هذا لقتلناه فكان شر مولود وكان يشب في اليوم شباب غيره فى جمعة فاجتمع تسعة من رهط منهم يفسدون فى الأرض ولا يصلحون كما نطق بذلك القرآن الكريم ، هؤلاء كانوا قد قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفاً أن يكون عاقر الناقة منهم ثم ندموا لما رأوا قدار ابن سالف قد شب وقالوا لو كان أبناؤنا أحياء ولم نقتلهم لكانوا كهذا الشاب فاقتسموا وعاهدوا أنفسهم ليقتلن صالحاً عليه السلام وأهله كما أخبر سبحانه وتعالى (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله) الآية - فقالوا فى مؤامرتهم نخرج فنرى الناس أننا نريد السفر فنأتى الغار الذى على طريق صالح فنكون فيه فاذا جاء الليل وخرج

صالح الى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى الغار ، ثم انصرفنا الى رحالنا وقلنا ما شهدنا قتله فيصدقنا قومه ، وكان صالح عليه السلام لا يبيت معهم بل يبيت في مسجده مصلياً متعبداً ، ثم نفذوا المؤامرة ولكن الله عاصم نبيه وحارسه فأرسل عليهم الملائكة من السماء فرجمتهم رجماً فهلكوا .

وسبب عقر الناقة كما قال ابن كثير وابن جرير وأصحاب التاريخ ، قالوا ان قدار يهوى (قطام) ، ومصدع يهوى (قبال) فيجتمعان بهما ، وفي بعض الليالي قاتلا لقدار ومصدع لا سبيل لكما اليها حتى تعقرا الناقة وتقتلها فقالا نعم وخرجا وجعما أصحابهما وقصدوا الناقة وهى على حوضها فقال الشقي قدار لأحدهم اذهب فاعقرها فاتاها فتعاضمه ذلك وهاب منها فبعث آخر فكان مثل صاحبه حتى أرسل كثيراً منهم فكانوا يتعاضمون قتلها ، فمشى اليها فتطاول ف ضرب عرقوبها فوقعت تركض وكان هلاكهم يوم الأربعاء واسمه بلفة ثمود (جبار) وكان هلاكهم يوم الأحد وهو عندهم (أول) فلما قتلت الناقة أتى رجل منهم صالحاً عليه السلام فقال أدرك الناقة فقد عقروها فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون اليه يقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا ، قال انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه ، فلما رأى الفصيل أمه تضطرب قصد جبلا صغيراً يقال له (القارة) فصعد عليه ومكث يبكي ، فلما أرسل صالح قومه الى الفصيل أوحى الله الى الجبل فتطاول في السماء وجعل يطول حتى ما تناله الطير فأخبروا نبي الله بذلك فجاء الى الجبل فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحاً فرغا ثلاثاً فقال صالح

لكل رغبة أجل يوم كما فى التنزيل (فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام) الآية فلما انقضت الأيام بآياتها التى أخبرهم بها صالح عليه السلام حنطوا أنفسهم وكفنوها ثم ألقوا أنفسهم الى الأرض حتى أخذتهم الصيحة وكان حنوطهم الصبر والمر وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم الا رجلا كان فى الحرم فمنعه حرم الله من عذاب الله - وهو أبو رغال - أبو ثقيف كما جاء فى الأحاديث الصحيحة والآثار .

وقال أهل السير : لما سار النبي صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك أتى على ديار ثمود وقال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم على هؤلاء المعذبين ألا أن تكونوا باكين ولا تشربوا من ماء ثمود وكانوا قد عجنوا منها فأمروهم باراقة العجين للخييل والدواب لتعتلفه كما نهاهم عن شرب ماء آبار ثمود الا ماء البئر التى كانت تشرب منه الناقة ، ثم أراهم مرتقى الفصيل فى الجبل وأراهم الفج الذى كانت الناقة ترد منه الماء .

ج - فى الشعر والنثر

أما الأشعار التى وردت فى قوم صالح وقصصهم فهى كثيرة ولا حصر لها فقد ذكرهم شعراء الجاهلية وشعراء صدر الاسلام بما لو نشر لما تكفيه المجلدات ولكن لا داعى الى ذلك .
والآن نذكر جزءاً يسيراً من ذلك للذكرى والعبرة (فاعتبروا يا أولي الأبصار) .

قال الثعالبى صاحب فقه اللغة فى ثمار القلوب ، فى باب ما يضاف الى اسم الله تعالى عز ذكره ، وذكر أسماء كثيرة منها

(ناقة الله) وقال الجاحظ في البيان والتبيين ، كل شيء يضاف الى اسم الله تعالى فهو عظيم وآية لخلقه كنار الله وبيت الله وأهل الله وناقة الله .. الخ .

وقال الثعالبي أيضاً فيما يضاف الى الأنبياء عليهم السلام وذكر أسماء كثيرة منها سفينة نوح ، مقام ابراهيم ، ناقة صالح ، وغير ذلك من الأسماء المضافة ، وقال : كما أن هذه الناقة أضيفت أيضاً الى اسم نبيه صالح ، عليه السلام فيقال لها ناقة الله وناقة صالح ، فإذا أضيفت الى صالح كانت مثلاً تضربه العرب فيمن ينبه على براءة ساحته أو خفة جرمه فيقول ضارب المثل (انى لم أعقر ناقة صالح) .

وأما ناقة الله ، فالنوق وغيرها من المخلوقات كلها لله ولكن هذه الناقة لما كانت آية من آيات الله تعالى ومعجزة لنبيه صالح عليه السلام خصت بالاضافة الى الله تعالى كما قال جل ذكره (ناقة الله وسقياها) ، فصارت ناقة الله مثلاً سائراً على وجه الدهر وصار عاقرها مثلاً فى الشؤم والشقوة وهو أحمر ثمود) حتى فى كلامهم السائر وشعرهم ورجزهم كما قال زهير فى معلقته :

فتنتج لكم غلمان أشام كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

أراد بأحمر عاد : أحمر ثمود .

قال الثعالبي : ومن ظريف التمثيل فى هذا الباب أن والى اليمامة صعد يوماً المنبر فقال فى خطبته : أيها الناس لا تجترئوا على الله فانه لا يقر على المعاصى عباده ، ولقد أهلك أمة عظيمة من أجل ناقة قيمتها ثلاثمائة درهم ، فسمى ذلك الوالى (مقوم الناقة) وصار يضرب به المثل . وقد أكثر الناس من ضرب المثل بهذه

الناقة فقال بعضهم فى الاقتضاء والعتاب :

حوائج الناس كلها قضيت وحاجتى لا أراك تقضيها
أناقة الله حاجتى عقرت أم نبت الحرف فى حواشيها

وكانت العرب تضرب بها المثل أيضاً فيمن يزدرد الطعام
ازدرداداً ويلتهمه بنهم ويشرب كشرب التزييف ببرد ماء الحشرج .
وضرب بها ابن الرومى المثل فقال وهو يصف انساناً بشدة الأكل :
شبه عصا موسى ولكنه لم يخلق الله لها فاهها
رفقاً بزد القوم لا تفنه يا ناقة الله وسقياها

وممن ذكرهم فى خطبته واعظاً وزاجراً من الخطباء الأولين :
(قس بن ساعدة الايادى) من قوله : أيها الناس أين ثمود ؟
الخ الخطبة المشهورة .

وممن ذكرهم علي كرم الله وجهه فى خطبة له بالبصرة من
قوله : (يا أهل البصرة يا بقايا ثمود يا جند المرأة .. الخ) .
وممن ذكرهم فى خطبته الحسين بن علي رضى الله عنهما ،
كما ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين قال قال روى عن الحسن
أنه قال : (قتل الناقة رجل واحد ولكن الله عم أمة عظيمة
بعذابه لأنهم لم ينتهوا عما نهوا عنه فعمهم الله بالعذاب الخ
الخطبة .

نظرة نقدية

وبعد هذه الجولة فيما كتبه القدامى من قصة « ثمود » يجدر
بنا أن نشير الى أن ما يجب الاعتماد عليه أساساً فى هذه القصة
هو كتاب الله الكريم ، ثم الصحيح الثابت من الحديث الشريف .

أما غير ذلك من روايات المفسرين والمؤرخين فعلينا أن نتلقاه بروح النقد ونضعه على محك العقل ، لنميز غثه من سمينه ، فما أكثر الاسرائيليات التي حفلت بها كتب التفسير والتاريخ ، وأساعت الى التراث الاسلامي النقي الناصع ، ولذا فاننا نحدد موقفنا من هذه القصص والروايات على النحو الآتي :

أ - ما لا يتعارض مع النص القرآني ، وليس به زيادة مُخِلَّة ، نقبله دون تردد ، فاذا قالوا : « حتى اذا كان يومهم من الشرب يشربون ما شاءوا ويدخرون ما شاءوا ليوم الناقة » فان نصهم على ادخار الماء لليوم التالي أمر طبيعى ، وهو استنتاج يتفق مع الآيات القرآنية : « قالوا انما أنت من المسحرين ، ما أنت الا بشر مثلنا فأبأ ان كنت من الصادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم .

ب - ما يكون هناك احتمال لوجوده اذ توحى به الآيات ، فهذا لا مانع من قبوله . ان شرب الناقة ماء تستهلكه مدينة بأسرها هو المعجزة التي نص عليها القرآن ، لكن الآيات السابقة ثم قوله تعالى : « ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ... الخ » توحى باحتمال أن تكون المعجزة في خلقها عن غير الطريق الطبيعى المألوف ، وهذا ما عبروا عنه « بانصداع الصخرة عن ناقة عشراء جوفاء .. » .

ج - الأخبار التي تحتل الصدق والكذب يستوى فيها الأمران والأولى تركها وبخاصة اذا كانت بعيدة الاحتمال .

د - ما هو مخالف للمنطق والعقل أو من صور الوهم ، الخيال . وهذا يجب شجبه واهماله واطراحه . فحكاية أم غنيم ، صدوف اذ أغرت أولاهما «قدار بن سالف» وعرضت عليه مالها ، بناتها ، وأغرت الثانية «مصدق بن مهدج» وجعلت له مالها ، مرضها وشرفها ، ان هما عقرا الناقة ، حكاية بادية الافتعال ، هي من نسج الخيال ولا سيما اذا ما تذكرنا رواية أخرى ، وماها أن الذي أوعز لقدار بالعقر هو أبوه سالف !

ثم تلك الأخبار المضطربة التي اخترعوها حول نسب قداد ، صفته ونشأته ، مما لا يصدقه العقل . فقد وصف القرآن الكريم العاقر المبتدر بأنه « أشقاها » أى أشقى ثمود وأطلق عليه النبي صلى الله عليه وسلم « أحيمر ثمود » ولكن روايات القصاصين والفسرين لم تكف بتعيين اسمه «قداد بن سالف» بل ذكرت أسماء تسعة آخرين ، واضطربت في وصف قداد فهو مرة ابن غير شرعى ، وهو أخرى ابن شرعى للرجل العاشر الذي امتنع عن قتل ابنه بعد أن قتل التسعة الآخرون أولادهم في شهر واحد - ذلك القتل الذى يجانف الفطرة البشرية ولا يعقل ان يقرهم عليه سيدنا صالح - . وأكثر من ذلك أن السدى الذى قال عنه الليث بن أبى سليم : « كان بالكوفة كذابان : أحدهما الكلبى والآخر السدى ! » ، وصف الأشقى بأنه « كان صيراً أزرق وانه كان يشب في يومه شباب غيره في جمعة وفي الشهر شباب غيره في سنة » أى أنه يبلغ من العمر عشرين سنة في مدة عشرين شهراً !!

دولة ثمود

يعتبر نقش الملك « سرجون » الآشوري أقدم نص ورد به ذكر ثمود اذ يرجع تاريخه الى القرن الثامن قبل الميلاد ، فقد سجل اسم « ثمود » بين أسماء القبائل والشعوب التي أخضعها لحكمه .

ومعنى هذا أن ثموداً كانت تتمتع بكيان مستقل في هذا التاريخ أو قبله بمدة لا نعرف تحديدها حيث قدموا الى هذه المنطقة من جنوب الجزيرة بعد حروبهم مع عاد وأسسوا دولتهم بشمال الجزيرة .

ويبدو أن الثموديين قد تخلصوا من السيطرة الآشورية واستعادوا استقلالهم فكان سلطانهم يمتد من البحر الأحمر في منطقة شمال الحجاز حتى جبل أجا وسلمى وقد اختلف الباحثون في المنبع الأصلي لشعب ثمود ؛ أهو الحجاز على ساحل البحر الأحمر كما يرى « ديودورس » و « أغاثرسيدس » أم هو «دومة الجندل» كما يظن « بلينى » و « يوسفوس » وبعض مؤرخى العرب ، أم هو المكان الذى يُعرف بالحريبة في وقتنا الحاضر كما يرى «دوتى» أم هو جبلا طيء حيث تقطن قبيلة شمر اليوم ؟ وكان هؤلاء الباحثين يرون انبثاق ثمود فى أحد هذه المواطن ، ولم يفدوا الى الشمال من الجنوب حسب القول التقليدي المشهور ! ومهما يكن من شيء فقد عُرِفَت قبائل ثمودية فى غير منطقة الحجر ، كقبيلة « ماسا » فى ناحية الشرق وقبيلة « سامع ال » التى تعتبر قبيلة

نيماء الأصلية ، و قبيلة « نبايات » تلك القبيلة القوية المنيعه
كثيرة العدد التى كان لها دولة ، كما يرى « جلازر » فى المكان
الذى تقع فيه مدينتا « بُريده » و « عنيزة » اليوم .

وفى الوقت الذى ظهر فيه أول وجود تاريخى لثمود ، كان
الدادانيون يعيشون فى شمال غربى الجزيرة فى « دادان » وهى
ما يسمى بالعلا اليوم ، وأسسوا مملكة هناك بشمال شرقى واحة
« العلا » وبنوا مدينة بموضع « الحريبة » اليوم واتخذوها مقراً
رئيسياً لهم ، وكان ذلك فى القرن الثامن ق.م. وكان لدادان
اثير كبير فى تجارة الشرق القديم وثقافته .

ومنذ القرن الرابع ق.م. ظهر على مسرح الحياة شعب لحيان
الذى يعتقد كثير من المؤرخين أنه فرع من الشعب الثمودى ،
وامتدت سيطرته عبر القرون حتى القرن الثانى للميلاد ، على
الأرض الواقعة غرب النفود من شمالى « يثرب » الى ما يحاذى
خليج العقبة الذى كان خاضعاً لنفوذ ملوك لحيان . وقد سمّاه
المؤرخون الذين زاره فى القرن الثانى ق.م. « خليج لحيان »
او لحينيت ... ثم حرّف اليهود الاسم وأعطوا الكلمة صبغة
عبرية وأطلقوا عليه « ايلات » ونسبوه اليهم .

وقد تأثر اللحيانيون بثقافة الدادانيين ، بل ربما أخذوا
مبودهم « ذوغبت » عنهم وقد أصبحت واحة « دادان » تحت
سلطان اللحيانيين .

مركز ثمود التجارى : ولم تقتصر أهمية ثمود على حضارتها
العمرانية وحياتها الزراعية — كما رأينا وكما سنرى — بل لقد
كان لها شأن أى شأن — مثلها مثل جيرانها الدادانيين واللحيانيين

— فى الحياة التجارية للعالم القديم ... وقد لعبت «تيماء» والحجر دوراً كبيراً حيث كانتا على الخط التجارى البرى الذى تنقل عن طريقه الى الشمال والى الشرق والى الغرب حاصلات جنوب الجزيرة من التوابل والبخور بالاضافة الى البضائع المستوردة من افريقية والهند والصين .

« كان هذا الخط يمتد من اليمن ويسير شمالا موازياً لساحل البحر الأحمر حتى يصل يثرب (المدينة المنورة) ثم يأخذ اتجاه يساير اتجاه الخط الحديدي الحجازى ، ماراً بمدينة « العلا » و « الحجر » (مدائن صالح) ، ومنها الى البتراء فى الأردن ، ومن « البتراء » كان يتفرع منه خط يسير غرباً الى « غزة » و « عسقلان » على البحر المتوسط ، بينما يخرج خط آخر من « البتراء » متجهاً عبر سيناء الى مصر ، كما كان خط آخر يخرج من « البتراء » متجهاً شمالا الى دمشق وآسيا الصغرى (١) . »

وهناك فرع هام لهذا الطريق البرى الواقع فى الجزء الغربى من الجزيرة العربية ، ويبدأ هذا الفرع من « مدائن صالح » ويتجه الى تيماء ، ومنها عبر الصحراء الى بلاد ما بين النهرين ، أو الى « الجوف » ومنها الى وادى السرحان ثم الى سورية .

هذا هو مركز ثمود فى الخط البرى التجارى الذى كانت له

(١) راجع معاصرة الأستاذ عادل العيَّاش عن « تيماء الاثرية » و « فى شمال غرب الجزيرة » للجاسر ٣٧٣ - ٣٧٤ .

مكانته فى تاريخ الجزيرة العربية الحضارى والسياسى وبخاصة
فى الألف الأول قبل الميلاد ...

وكانت منطقة الواحات « مسرحاً لصراع طويل بين
الليحيانيين والشموديين ، ثم بين الليحيانيين والأنباط ... وهو
صراع أدى الى تحويل الطريق التجارى من قبل الشموديين ،
يساعدهم الأنباط عدة كيلومترات شرقاً من « الخريبة » - المركز
التجارى الأصلى للدادانيين ومن بعدهم الليحيانيين - الى ما يُسمى
حالياً بالقرح .. ومن ثم بدأ نفوذ الليحيانيين الحربى والتجارى
يتضاءل شيئاً فشيئاً الى أن سقطت دولتهم تحت حكم
« الأنباط » (١) .

أثر الأنباط : ويرى بعض المؤرخين أن لملكة ليحان
عصرين : الأول : العصر المشارك للحكم النبطى حيث خضع
الليحيانيون للأنباط فيما بين القرن الثالث والثانى قبل الميلاد .
الثانى عصر الاستقلال الذى بدأ من القرن الثانى قبل الميلاد ،
وانتهى فى القرن الأول للميلاد حيث انطوت ليحان تحت الاحتلال
النبطى مرة أخرى ، وظل النبط بشمال الجزيرة الى أن قضى
الامبراطور «تراجانوس» على سيادتهم وأصبحوا خاضعين للرومان
فى أوائل القرن الثانى للميلاد .
وهؤلاء الأنباط عَرَب من الجزيرة العربية « بل هم أقرب

(١) « اللغة العربية فى عصور ما قبل الاسلام » لأحمد حسين شرف الدين

العرب الى أهل الحجاز بحكم لغتهم وأسمائهم ومعبوداتهم وتقاليدهم » . ويرى الأستاذ حمد الجاسر أن قدومهم كان من سراة الحجاز الواقعة جنوب الطائف .. ثم انتقلوا الى قرب المدينة ومن هناك انطلقوا الى الأردن وأسسوا دولتهم .

وقد استولى النبط على « الحجر » (مدائن صالح) عام ٥٢ ميلادية أو قبيل تاريخ الميلاد كما يذكر « جرجي زيدان » ... وقد عُثر على عدة آلاف من النقوش النبطية في تيماء والعللا ومدائن صالح .. منها النقوش المنحوتة في الصخر كتقصر البنت والقلعة والبرج وكان من أثر النبط أن أبجديتهم النبطية قد أثرت في الأبجديات الثمودية وسائر أبجديات المسند الشمالية لأنها جاءت بعقلية وصل الحروف وحصر الكلم مما غيّر من وضعية الحروف تغييراً تاماً . وهذا ما جعل الباحثين يحكمون بأن أبجديتنا العربية التي نكتب بها اليوم إنما هي أبجدية آرامية اقتبسها الأقدمون بواسطة الأنباط (١) .

ثمود والغزو البابلي : وفي القرن السادس ق.م منيت ثمود بالغزو البابلي ، كما منيت من قبل بالغزو الأشوري ؛ فمن نقش على لوح محفوظ الآن بالمتحف البريطاني بلندن برقم ٣٨٢٩٩ نعلم أن « نابونيدس » خرج من بابل بعد أن ولي مكانه ابنه الأكبر في حملة طويلة عام ٥٥٢ ق.م وصل فيها الى « تيماء » ، حيث قتل أميرها وقتل ماشيتها وماشية سكان المناطق المجاورة ،

(١) اللغة العربية في عصور ما قبل الاسلام ص ٣٧ .

واقام بجيشه فى « تيماء » ، الا أنه بعد أن احتل المدينة قام بتجمليلها ، وبنى لنفسه قصرأ على غرار قصره فى بابل وبنى الأسوار لتحصين المدينة ..

وقد ذكر المؤرخون أن « نابونيدس » هذا - وهو آخر ملوك الدولة البابلية الثانية - قد اتخذ تيماء عاصمة له من سنة ٥٥٠ الى سنة ٥٤٥ قبل الميلاد ، مما يدل على أنه كان بها حضارة زاهية (١) .

ولا شك أن شيئاً ما قد شد قلب العاهل البابلى فى تيماء والا لما ابنتى بها قصره ، وجعلها مركزاً سياسياً له . ولعله أراد أن يسيطر على محطة تجارية هامة لا لكى يضمن وصول السلع التجارية الى بابل فحسب ، بل لكى يتحكم فى بؤرة مفارق الطرق أيضاً « فتيماء تربط العقبة والبتراء غرباً بخليج العرب شرقاً ، وهي وسط بين مكة والشام وفى منتصف الطريق بين بابل ومصر » .



وهكذا عاشت دولة ثمود فى مد وجزر وتعاون وتنافس مع جيرانها ، ينداح نفوذها حيناً ويتقلص حيناً آخر اذا ما تعرضت للغزو الخارجى ... الى أن حلّ غضب الله على « ثمود الحجر » فهلكوا لبغيهم فى وقت لا يستطيع معرفته ولا تحديده .

وآخر نص عشر عليه للثموديين هو ما يذكر « التحاق خيالة منهم بجيش البيزنطيين فى القرن الخامس » .

(١) « الجزيرة العربية » لمصطفى الدباغ ١٧٢/١ .

معجم المدائن

بالنسبة لنفوذهم الأول وامتداد سلطانهم على معظم البلاد العربية وبالنسبة لحدودهم الجغرافية الأولى قبل نزول العذاب وهلاكهم ، والتي كانت تمتد من ساحل ايلات بفلسطين حتى ساحل البحر الأحمر المقابل للموانئ الحبشية كما ذكره ابن الكلبي وغيره من مؤرخي البلدان العربية ، واليك الأمكنة التي كان لهم نفوذ عليها في أيام دولتهم وهي مرتبة بحسب حروف المعجم .

بتراء

باء مفتوحة وتاء ساكنة وراء وألف وهمزة ، مسجد بين تبوك ومدائن صالح - هذا لا وجود له الآن - لكن هناك مساجد على طريق السكة الحديدية وطريق الابل بين الشام والمدينة مخططة بالأحجار الضخمة والصفائح وقطع اللبن ، يزعم البدو الرحل أنها آثار الأولين ومن جملتها هذا المسجد الذي لا يزال بهذا الاسم في طريق تبوك قريب من ديار ثمود قد عفت معالمه مع وجود موقعه لكن الوصول اليه من طريق الابل التي تسير بالقوافل زمن الحج وهذا المسجد ، ذكر أصحاب السير أنه من مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خططه في غزوة تبوك ، وصلى فيه مع الصحابة ، وقال بعض أهل التاريخ انه في طريق البتر والعريشان بين (برق نجاج والحجر) وقد جاء ذلك في شعر القتال الكلابي من قصيدة :

عفا النجب بعدى فالعريشان فالبتر

فبرق نجاج من أميمة فالحجر

بـدأ

موضع بين الشام والحجاز وهو بقرب وادى القرى وعلى
ثلاثة أميال من مدائن صالح وبه واد فسيح معشب معروف
له شهرة في أيام الربيع وقد ذكره الشعراء فى أشعارهم فمن
الـ ما جاء فى قصيدة لأبى وجزة السلمى :

يا أم شيبة أى ساعة مطرق نبهتنا أين المدينة من بدا
وبه واد فسيح يقال له وادى بدا بين الشام ومدائن صالح
جميل بثينة من قصيدة :

الا قد أرى الا بثينة للقلب
بسوادى بدا لا بحسمى ولا الشغب

براق ثجر

بكسر الباء ثم راء وألف وقاف وطاء ثجر مفتوحة وجيم
ماكنة ثم راء ، هذه مدينة من مدن مدائن صالح ذكرها المفسرون ،
الكن لا وجود لها الآن ، ولعلها من المدن التى غاصت وتجلجلت فى
الرمال حين نزول العذاب ، وقد ذكر هذه المدينة ياقوت فقال
انها بقرب وادى القرى ، ولها ذكر فى الشعر ، كما ذكرها كثير
من الشعراء منهم عبد الله بن سلمة من قصيدة :
ولم أر مثل بنت أبى وفاء غداة براق ثجر أو أجوب

بصاق

بضم الباء ثم صاد وألف وقاف ، اسم جبل بين أيلة وصحراء
سيناء يطل على سهول متصلة بمدائن صالح وهذا البصاق خلاف

الموضع الذى بقرب مكة ، وهذا البصاق يوصل الحجاز بالشام
عن طريق المدائن وله ذكر وجاء فى شعر جميل بثينة :

ولا ببصاق قد تيممت فاعترف
لما أنت لاق أو تنكب عن المركب

بلاكث

بفتح الباء وكسر الكاف بين خيبر ووادى القرى وبها عيون
ونخل قال كثير عزة :

بينما نحن من بلاكث بالقاع سراعا
والعيس تهوى هوى هوى

تبوك

بفتح التاء ثم باء مضمومة وواو وكاف . محاذية لديار ثمود
ومعظم المفسرين قالوا ان أصحاب الأيكة هم أهل تبوك وهى
على عدة أميال من وادى القرى كما قال أبو زيد أن تبوك أول
الشام وهى بين الحجر وأول الشام ، وتعد فى القديم من مجموع
مدن ثمود ، وقال المفسرون بعث الله الى أهل تبوك شعبياً عليه
السلام ولم يكن منهم وانما كان من (مدين) ومدين مدينة على
ساحل الروم قريبة من تبوك وأهل تبوك هم أصحاب الأيكة .
التي هى الشجرة العظيمة ، وتعد تبوك من الحجاز وموقعها
الجغرافى بين جبل (حسمى) وجبل (شرورى) فيحدهما جبل
حسمى من الغرب وشرورى من الشرق .

تيماء

بلد تقع في أطراف الشام وهي أقرب الى الحجاز من جهة وادى القرى ومدائن صالح على طريق حاج الشام وكانت قديماً من أشهر مدائن صالح وقد ذكرها امرؤ القيس في شعره فقال من معلقته فيها :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطما الا مشيداً بجندل

وتيماء بها حصن السموال بن عادياء - اليهودى دينالا ارومة فهو عربى قحطانى غسانى - ولذلك يقال لها تيماء اليهودى وهى من مدن ثمود قديماً وكان سكانها من اليهود فأجلاهم عمر رضى الله عنه لما أجلى اليهود من جزيرة العرب ، وهذا الحصن يضرب به المثل في الاحكام والفن والارتفاع والمناعة واول من ذكره في شعره صاحبه السموال من قصيدته :

والأبلق الفرد الذى شاع ذكره يعز على من رامه ويطول

وقال الأعشى :

ولا عاديا لم يمنع الموت ماله وورد بتيماء اليهودى أبلق

ولهذه المدينة أهمية ظاهرة من النواحي الدينية واللغوية والأثرية اذ تعتبر « تيماء » المركز الأول للديانة الثمودية الوثنية ، ففي جبل « غنيم » آثار معبد ثمودى قديم كان يُقدس فيه الأله « صلم » وهو يمثل لدى الثموديين اله القمر لدى السبئيين .

ومن الناحية اللغوية تعتبر « الثمودية التيماءية » هى الأم التى تفرعت عنها ثموديات نجد والحجاز وتبوك .

أما من الناحية الأثرية فتيماء مليئة بالآثار من كتابات على الصخور أو حجارة منقوشة ، أو بقايا أوان خزفية أو قطع نقود .. الخ .. و « حجر تيماء » الذى سنتحدث عنه فيما بعد من أهم آثارها ... كما أن بقمة جبل « غنيم » - واسمه القديم حَدَدَ - وهو يطل على تيماء من الناحية الجنوبية الشرقية - بقايا معبد مبنى بالحجر به رسوم ونقوش ثمودية يبرز من بينها نقش على هيئة رأس ثور للصنم الشهير « سلم » هذا بالإضافة الى أن الجزء الغربى من واحة تيماء - كما يصف الأستاذ « عادل عيَّاش » - « يضم تلالاً أثرية تبلغ مساحتها ٦٤ هكتاراً ، ويحيط بها مجموعة من الأسوار الحجرية الضخمة يبلغ طولها خمسة أميال ويرجح أنها تعود أواخر القرن السادس ق.م. وأوائل القرن الخامس قبل الميلاد » وإذا ما كشفت عن أسرارها للمنقبين فستعلم الكثير عن العلاقات بين حضارات الجنوب وحضارات ما بين النهرين فى النواحي التجارية وغيرها ، وعن مملكة الأنباط ومملكة معين .

جَعَجَع

جيم مفتوحة وعين ساكنة وجيم مفتوحة ثم عين ، واد بين الشام والحجاز بقرب ديار ثمود ، له ذكر فى الشعر ولا زال باقياً لليوم ، تنزله البدو أيام الربيع وقد ذكره الشعراء فى شعرهم ومنهم جميل بثينة حيث قال :

مللن ولم أملل وما كنت سائماً
لأجمال سعدى ما أنغن بجعجع

ولم يذكر ياقوت هذا الموضع ولا شاهده ولعله لم يقف عليه .

الحجر

اسم واد من أودية الحجر يبعد عن بلد الحجر بحوالى ميل ونصف الميل وضبطه بكسر الحاء وسكون الباء وذكره ياقوت واستشهد بأبيات وممن ذكر هذا الوادى فى شعره ، (المرار) ابن سعيد بن الأشم ، من مخزومى الدولتين الأموية والعباسية ، قال من قصيدة :

ألا قاتل الله المقادير والمنى وطيراً جرت بين السعافات والحبر

الحجر (١)

بكسر الحاء وسكون الجيم ثم راء ، اسم لقرية جبلية عظيمة تقع بين وادى القرى والمدينة المنورة والشام وأكثر المؤرخين

(١) الحجر بفتح الحاء ما حُجرت عليه ومنعته من الوصول الى غرضه ومأربه وبابه قطع ، والحجر بثلاث الحاء معناه الحرام ومنه الآية (وحِثُّ حِجْرٍ) والآية (ويقولون حجراً معجوراً) والحجر بكسر الحاء معناه العقل ومنه الآية (هل فى ذلك قسم لذي حِجْرٍ) والحجر بكسر الحاء أيضاً ما حواه العظيم المدار بالبيت جانب الشمال من الكعبة وما تركت قريش فى بنائها من أساس ابراهيم عليه السلام وقد كان ابن الزبير أدخله فى الكعبة حين بناها فلما هدم العجاج بنائه جعل الحجر كما كان فى عهد الجاهلية ، وفى هذا الحجر قبر هاجر أم اسماعيل عليه السلام ، والحجر بكسر الحاء أيضاً اسم لقرية صغيرة ذات عيون ونخيل وآبار بجانب الرضوية على بعد بضعة أميال من المدينة وهذه القرية بما فيها من زرع وماء لبنى سليم خاصة ، والحجر بفتح الحاء وسكون الجيم مدينة باليمامة وموضع ببلاد بنى عقيل والحجر بضم الحاء وسكون الجيم قرية باليمن وسكانها يدعون بالحجرية ولها ذكر فى التاريخ .

يضمونها إلى وادى القرى (١) وقال ياقوت الرومى انها على مسيرة يوم للراكب على البعير وقد زارها ياقوت المذكور صاحب المعجم ووقف عليها ووصفها وصفاً موجزاً فقال انها تقع بين جبال وكانت ديار ثمود ، وجبالها منحوتة فى جوفها وبأسفلها وسفوحها وقال ياقوت ان هذه الجبال كبيوتنا المبنية الا أنها منحوتة نحتاً جميلاً وتسمى جبالها بالأثلاث وهى جبال اذا رآها الرائي من بعد ظنّها متصلة ببعضها كالسلسلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف ، وحواليها الرمل لا يكاد يرتقى ، كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدّها أحد الا بمشقة شديدة ، وبها بشر ثمود الذى ورد فى القرآن الكريم ، وبها عيون وآبار لبنى سليم خاصة وحذاءها جبل ليس بالشامخ يقال له قنة الحجر وقد ذكره جميل بن معمر فى شعره فقال من قصيدة :

أقول لداعى الحب والحجر بيننا ووادى القرى لبيك ما دعائنا

هذا ما قاله ياقوت عن الحجر . وقال المفسرون منهم ابن كثير والبعثى قالوا : الحجر هى مدينة قوم ثمود وتقع بين المدينة والشام .

والحجر لها ماض قديم وحضارة هائلة وبحدائها وادى القرى له ذكر عظيم وكان يسكنه الكثير من الشعراء والأدباء والفدائيين لا رغبة فيه ولكن لقربه من الشام وما فيه من آثار وعجائب .

(١) وهو ما يسمونه اليوم (العلا) وسياتي ذكره فيما بعد .

مرايب يكاد لا يصدقها العقل لولا أنها ماثلة للعيان وأعظم تلك المشاهد الجبال المنحوتة التي ترشد السائح الى أن الماضين كانت لهم قوة ومهارة منقطعة النظير ، والحجر ذكرها غير واحد من الشعراء منهم زهير ابن أبى سلمى صاحب المعلقة قال من قصيدة فى مدح هرم بن سنان ، مطلعها :

لن الديار بقنة الحجر أقوين مذ حجج ومذ دهر
دع ذا وعد القول فى هرم خير الكهول وسيد الحضر

وقد تقدم الشرح فى قنة الحجر ، وقال النابغة الذبياني أيضاً من قصيدة :

همو قتلوا الطائي بالحجر عنوة
أبا جابر واستنكحوا أم جابر

وهذا الحجر حجر اليمامة لا حجر ثمود فليلاحظ ذلك على الرغم من كون الشواهد جاءت فى حجر ثمود لكن الواقع عكس ذلك وحجر اليمامة بفتح الحاء .

وأكثر الشعراء ذكراً للحجر وأعنى به حجر ثمود ؛ هو جميل بن معمر صاحب بثينة حيث كانت محبوبته بثينة تسكن ، ادى القرى ولها بساتين بحقل وأيلة وتيماء ودائماً ما تنتقل مع أهلها وترحل وترتاد هذه الأماكن وجميل يتعقبها وينشد القصائد الرنانة فى هذا المضمار ، ومن ذلك قصيدته الرائية التى رواها الكثير ، وغنى فيها غير واحد ولحنها كثير من الملحنين والتى مطلعها :

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت
بالحجر يوم جلتهها أم منظر

ومنها قصيدته الرائعة التي مطلعها :
 ألم خيال من بثينة طارق
 على النأى مشـتاق وشائق
 سرت من تلاع الحجر حتى تخلصت
 الي ودوني الأشـعرون وغافق
 كان فتيت المسك خالط نشرها
 تغل به أردانها والمرافق
 تقوم اذا قامت به عن فراشها
 ويغدو بها من حضنها من تعانق
 والمراد بهذا الحجر حجر ثمود :

حسمى

بكسر الحاء وسكون السين ثم ميم مفتوحة وألف مقصورة ،
 موضع وراء وادى القرى متصل بالحجر تماما من طريق الابل
 ولا يزال موجوداً للآن ومعروفاً وله ذكر فى الشعر وخاصة جميل
 بثينة من قصيدة :

ألا قد أرى الا بثينة للقلب
 بوادى بدا لا بحسمى ولا الشغب

وهذا الشاهد لم يورده ياقوت ، ولعله لم يقف عليه ، ولكنه
 أتى بشواهد لحسمى المختلف عليها والتي بقرب الجودي ، أما هذه
 فمشهورة ، واديتها وجبلها ومن تسلق أعلا نخلة فى تبوك يرى
 جبل حسمى ، وذلك عندما يتراكم السحاب وتجود السماء ،

يتسلى الشائم فيخبر بمواضع هطول الأمطار وقد مر بى هذا الحدث فى رحلتى عام ١٣٦٠ حينما كنت بتبوك ، كذلك المتسلى لأعلى شجرة فى العلا أو المتسنى لأعلى ذروة فى جبال وادى القرى يرى (حسمى) وقد مررنا به فى رحلتنا لكننا لم نستطع تسلقه مع أننا أقمنا بحقل وأيلة أياماً عديدة والسبب فى ذلك راجع الى كثرة العجاج وشدة الريح اذ كلما عزمنا على تسنمه تشتت بنا الريح فتهبط قسراً وقد ذكر حسمى أكثر من أربعين مؤرخاً رجالة ويزعم البدو الرحل وأهل الماشية هناك أن بقمته وحشرجه مياه متعفنة لا يقرب منها أحد فقلت فى نفسى (سبحان الله) كأنهم سمعوا أو قرءوا كلام أحد المؤرخين اذ قال أن بحسمى بقية من ماء طوفان نوح لا يكاد يقربها أحد لنتنها ، وأقرب الأقوال صحة ومشهداً قول ابن السكيت أن جبال حسمى وأوديتها ملك لجذام وهى بين أيلة وتيه بنى اسرائيل ، ويقصد به صحراء سيناء ، وبينه وبين المدينة ست مراحل وبينه وبين وادى القرى عدة أميال وأكثر من وصف حسمى من الشعراء جميل بثينة كما تقدم وكثير غزاة من قصيدة :

سيأتى أمير المؤمنين ودونه جماهير حسمى قورها وحزونها

وقال النابغة من قصيدة :

فأصبح عاقلاً بجبال حسمى دقاق الترب محترزم القتام

ووصف أرض حسمى وجبالها المتنبى فى رحلته وأرض حسمى طيبة تنبت جميع النبات مملوءة جبالا شاهقة متناوحة ملساً لا يرقاها أحد الا بمشقة عظيمة .

حقـل

بفتح الماء وسكون القاف ثم لام - يطلق على قرية بها نخيل ومياه وبساتين وهو بقرب أيلة على ساحل خليج العقبة وبينه وبين أيلة التي تسمى اليوم ايلات على خليج العقبة مسافة قليلة وكانت حقل ساحلا لثيماء قديماً كما أثبتته الكلبي وكان لعزة صاحبة كثير بستان في هذه القرية وأشار كثير الى ذلك بقوله من قصيدة :

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلا بحقل لكم ياعز قد زانتا حقلا

وكان بهذه القرية في القديم علماء وفقهاء منهم ابن أعين الحقلـي مولى نافع رحمه الله كما حققه ياقوت رحمه الله .

حقل قباب

موقع كثير الأحجار بين المدينة والشام ليس به ماء ومن كثرة أحجاره ترى كالقباب وله ذكريات لم يشر اليها ياقوت في معجمه لعله لم يقف عليها ، من ذلك ما جاء في قصيدة أبي عدى العبلي :

هيئات تلك معالم من ذاهب أمسى بحوضي أو بحقل قباب

وقباب بكسر القاف .

وحقل أيضاً تطلق على المزرعة ، وعلى واد خصيب ذي زروع وعشب ملك لبنى سليم وقد ذكره العباس بن مرداس في شعره من ذلك :

وما روضة من روض حقل تمتعت

عرارا وطباقا ونغلا توائما

وجبل حقل بوادی (آرة) يقال له حقل ولم يعلق الأستاذ
هارون على هذا الوادی بشيء سوى أنه قال كنت أثبتته حقل الخ
ولو تجول قليلا لعلم أن نصف هذا الوادی مع ثلثي الجبل يعد
من الحد الشامى لا التهامى وحقل الرخامى موضع آخر جاء فى
شعر الشماخ من قصيدة :

أمن دمتين عرج الركب فيهما
بحقل الرخامى قد عفا طلالهما

وحقل أيضاً موضع باليمن من بلاد خولان من نواحي صعدة
وكانت خولان قتلت فيه أخاً للعباس بن مرداس السلمى فقال
قصيدة فى ذلك منها :

فمن مبلغ عوف بن عمرو رسالة
ويعلى بن سعد من ثؤور يرأسله
بأنى سأرمى الحقل يوما بغارة
لها منكب حانى تدوى زلازله

وذكر هذا الحقل أيضا ابن كنيف النبھانى فمن ذلك :

ملكنا حقل صعدة بالعوالى ملكنا السهل منها والحزونا

وهذا أيضاً به حجارة كثيرة تشبه القباب وقال أبو المنذر
سبب تسمية حقل خولان بالحقل - لأنه كان يسكنه رجل يقال
له ذو قباب بن مالك بن حمير - .

و (حقل) أيضاً - قرية لبني درماء من طيء فى (أجا) .
و (حقل) أيضاً - قرية بالخرج من ناحية وادى اليمامة .

خيبر

بفتح الخاء وسكون الياء مع باء مفتوحة وراء ؛ بلد مشهور به مياه ونخيل وكان له شهرة في القديم - وكان يرتبط ارتباطاً قوياً بوادي القرى وتيماء وديار ثمود وكان سكانه من اليهود وبه حصون سبعة ومزارع ، وكانت خيبر قد فتحت في السنة السابعة من الهجرة ولها قصة طويلة تراجع في السير ولما فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المنازلة التي دامت شهراً قال أهلها اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنا علماً بالأرض والمياه والزرع والنخل فأقرنا واجعل لنا نصف ما تخرجه الأرض من محصول فأقرهم ومكثوا على ذلك الى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأى منهم ما ينسكروه وسمع بظهور الزنا فيهم والتعبث بالمسلمين فأجلاهم الى الشام وقسم خيبر بين من كان له فيها سهم من المسلمين كما جعل لأمهات المؤمنين نصيباً فيها ، وفعل ذلك عمر لأنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته يقول لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ، فلذلك أجلاهم نهائياً ، وكانت خيبر ولا تزال موصوفة بالحمى وكانت العرب تذكر حمى خيبر في أشعارها وأمثالها ومن ذلك :

كأن به اذ جئته خيبرية يعود عليه وردها وملالها

وقال أعرابي لما قدم بعياله على خيبر ونزلها ، من قصيدة :

قلت لحمى خيبر استعدى هاك عيالي فاجهدى وجدى

وقال الأخنس :

ظلمت بها أعرى وأشعر سخنة كما اعتاد محموماً بغيبر صالب

وخبير مشهورة بكثرة المياه قديماً والنخل والتمر الجيد
وقد ذكر ذلك بعض الشعراء ومنهم حسان رضى الله عنه من
قصيدة :

فانا ومن يهوى القصائد نحونا
كمستبضع تمرأ الى أرض خيبر

وخبير لها ذكريات قديمة وقد ذكرها كثير من الشعراء منهم
جميل بن معمر كما ذكرها جعفر بن سراقه من بنى قرة من
قصيدة :

منعناه من عليا معد وأنتم
سفاسيف روح بين قرح وخبيرا
فريقان رهبان بأسفل ذى القرى
وبالشام عرافون فيمن تنصرا

الرحضية

بتشديد الراء المفتوحة وسكون الحاء وكسر الضاد مع ياء
مشددة مفتوحة ثم تاء مربوطة - وهي قرية بحداء الحجر وبها
مياه ونخل كانت للأنصار وبنى سليم أما اليوم فقد نظبت
مياها وليس بها الا القليل من السكان الذين يعدون على الأصابع
وبهذه المناسبة فقد علق الأستاذ عبد السلام هارون فى تعليقاته
على جبال تهامة بنوادر المخطوطات لمرام بن الأصبغ فقال معترضا
على الأستاذ حمد الجاسر فى تحقيق كلمة الرولة وكلمة الرحضية

حين قال : (مع أن البكرى جعلها الرحيضة مصغر الرحضة) ولو تجول الأستاذ لعلم أن الرحضيات ثلاث - الأولى هي قرية بنجد على طريق البصرة ، والثانية رحضية الحجر بقرب المدينة وهذه حققها ياقوت بنفسه وقال : قال عرام ابن الأصبغ أن الرحضية بقرب المدينة وبجذائها قرية الحجر ، والرحضية الثالثة هي التي بقرب الوديعة باليمن الجنوبية بينها وبين مخفر الوديعة التابع للمملكة السعودية ما يقارب الثلاثمائة من الأميال وأهلها يلقبون الضاد ياء فيقولون الرحية لعسر نطقهم بها وقد وقفت عليها في رحلتى عام ١٣٥٩ هـ وعلى هذا فتحقيق الجاسر في محله .

الرس

بفتح الراء المشددة ثم السين المشددة ، ذكر أغلب المفسرين بما فيهم البغوى وابن كثير كما قال بذلك ابن عباس رضى الله عنهما أن الرس قرية من قرى قوم ثمود وقال ابن عباس فى رواية أخرى : ان الرس رسان رس تابع لثمود وقد أهلكهم الله ورس بفتح اليمامة وهم الذين أرسل الله اليهم نبيه خالد بن سنان فعصره ولم يصدقوه فأهلكهم الله ولا زالت قريتهم باقية الى اليوم ، وذكر النويرى أن علياً رضى الله عنه قال ان الرس وأصحابه بأذربيجان وكانوا يعبدون شجرة صنوبر وكانت قراهم على الفرات الخ ما قاله كما مر ، لكن هذه الرواية أضعف الروايات بسبب عدم استنادها ، والصحيح أن الرس ببلاد العرب لا ببلاد العجم والله أعلم .

الشغب

شين مشددة مفتوحة وغين ساكنة وباء ، ضيعة خلف وادى
القرى متصلة بديار ثمود ، لا تزال آثارها من اللبن قائمة يأوى
اليها رعاة الأغنام وقد تقدم ذكرها فى شعر جميل .

الشوية

وهى بفتح الشين المشددة وكسر الواو مع ياء مشددة مفتوحة
وتاء مربوطة قال أبو العباس المبرد وغيره من اللغويين ان كلمة
الشوية تطلق على بقية قوم ثمود الذين هلكوا وتجمع الكلمة على
(شوايا) - حدثه بذلك ابن دريد وأنشده :
فهم شر الشوايا من ثمود وعوف شر متعل وحافى

صفرات الملح

بفتح الصاد والفاء وراء وألف وتاء وهى خلاف قريات الملح ،
ويطلق عليها اليوم (سبخات الملح) وهى سهول واسعة تبدأ من
بئر الناقة الى سهول المعظم مما يلى معان بالأردن ، غارت فى
الأرض حين نزول العذاب وقد ذكرها المفسرون وجاءت فى
الشعر كما ذكرها القتال فى قصيدته التى منها :
الى صفرات الملح ليس بجوها أنيس ولا ممن يعل بها شفر

عُراب

بضم العين وهو جبل شاهق على حدود الحجاز من جهات
الشمال وموقعه بين المدينة والشام مما يلى مدائن صالح ..

واسم عراب يطلق أيضاً على موضع بالشام وعلى واد باليمامة وعلى جبل من جبال تهامة - لكن (عراب) التابع للمدائن هو المشهور في الشعر وقد جاء في شعر أبي عدى العبلى من قصيدة طويلة - منها :

هيجت للأجزاء حول عراب واعتاد قلبك عائد الأطراب

عرنان

بكسر العين وسكون الراء وهو من أودية مدائن صالح متصل بوادى القرى مباشرة كثير الوحوش فيه مرعى للابل ، وتقيم فيه البدو الرحل أيام المطر وهذا الوادى له ذكريات قديمة قد ذكرها الشعراء فى قصائدهم من ذلك قصيدة سويد ابن كراع العكلى من شعراء الدولة الأموية ، قال من قصيدة طويلة :

كان رحلى على حمش قوائمه برمل عرنان أمسى طاوياً وحدا

وتطلق كلمة عرنان على جبل من جبال تهامة أيضاً وعلى بشر من الأحقاف مطمورة .

فدك

قرية مشهورة من نواحي خيبر بينها وبين المدينة ست ليال وبينها وبين وادى القرى خمس ليال ، ولم تبعد عن الحجر كثيراً فهي مرتبطة به ارتباطاً قوياً فى القديم ارتباطاً تجارياً وصناعياً وسكان فدك كانوا فى القديم خليطاً من اليهود وبعض قبائل العرب من بنى سعد بن بكر وبنى مرة .

قنة الحجر

جبل صغير ليس بالشامخ بحذاء الحجر من ديار ثمود وقد
أكره كثير من الشعراء منهم زهير بن أبي سلمى - من قصيدة
مطلعها - لمن الديار بقنة الحجر .

قنن

موضع بين الشام والحجاز بقرب الحجر من ديار ثمود ، وبه
نبون ونخيل وضبط الكلمة قاف مضمومة ونون مفتوحة وياء
ساكنة ونون ، على صيغة التصغير وقد ذكره في شعره - الصمة
القشيري -

تحمل أهل من قنن وغادروا
به أهل ليلى حين جيد وأمرعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

وهذا الموضع لم يذكره ياقوت مع ملاحظة أن هذا الموضع
خلاف الموضع الذي علق عليه الأستاذ عبد السلام هارون واستشهد
بأبيات لم يعزها الى أحد في تحقیقاته وتهميشاته على جبال تهامة
فى المجموعة الثامنة من نواذر المخطوطات لعرام بن الأصبغ
السلمى . وما ذكره عرام هو مكان بين البصرة والمدينة ، من
جهة وادى (الرولة) أما ما أشار اليه الأستاذ بأن الأصل ورولان
نسبة الى الدابة المغروفة كما ذكر أنه سكنى بنى سليم والصواب
هو وادى الرولة ويسكنه فى الوقت الحاضر عرب الرولة بضم

الراء المشددة وفتح الواو واللام ثم تاء مربوطة وقد وقفت عليه في رحلتى عام ١٣٥٩ هـ جئته على الابل من طريق قافلة الحاج العراقى ما بين البصرة والمدينة كما جئت قنة الحجر المشار اليها - من الشام حتى المدينة المنورة على ظهور الابل مع قافلة الشيخ عبد الله بن غريض أحد زعماء البدو القاطنين بتبوك وقد أشرت الى ذلك في رحلتى لمدائن صالح مع المذكور كما سيأتى ان شاء الله في المقارنة والتطبيق وعلى العموم يقول المثل العربى (فما راء كمن سمع) .

مَطْلُوب

بفتح الميم وسكون الطاء ، بئر عميقة بين الشام والحجاز على أميال من مدائن صالح وماؤها عذب ينزل عليها الحجاج وأصحاب المواشى ، وكان عبد الملك بن مروان يشرب من مائها وينزل عليها اذا أراد السفر الى الحجاز ولها ذكريات جاءت في قصائد الشعراء منهم العجيز بن عبد الله السلولى من شعراء الدولة الأموية ، قال من قصيدة :

لا نوم الا غرار العين ساهرة ان لم أروع بغيظ أهل مطلوب

وتطلق الكلمة (مطلوب) على عدة أماكن وجبال ذكرها ياقوت بشواهدا خلاف البئر المذكورة التى يضرب بها المثل في العمق وطول الرشاء وعدوبة الماء وكونها تابعة لدير ثمود .. الخ .

النعف

اسم قرية في طريق الحجر بين العلا وتبوك وبها مسجد أثري قديم يسمى مسجد (كويكب) ، وكويكب من المساجد الأثرية القديمة التي أسست في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصل النعف ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي ، وبهذا الموضع واد فسيح مررت به في رحلتي عام ١٣٦٠ هـ يدعى وادي كويكب ، وهذا النعف يدعى نعف كويكب سمي باسم المسجد أو المسجد به ، له ذكريات وشهرة وقد ذكره الشعراء في شعرهم وأكثرهم ذكراً له جميل بثينة ، وقد أنشد له الجاحظ من قصيدة :

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب

رهينة رمس بين ترب وجندل

ومع الأسف ان ياقوت صاحب المعجم لم يذكر هذا النعف ولا شاهده ولعله لم يقف عليه مع أنه ذكر نعف سويقة ونعف مياسر ونعف وداع مع الشواهد .

وابش

واو وألف ثم باء مكسورة وشين ، وادي مشهور بقرب الحجر ، على طريق الشام ، وبه جبل مشهور بهذا الاسم ، يحاذي وادي القرى عند مسيرك الى الشام وله ذكر في الشعر وبخاصة جميل صاحب بثينة ، قال من قصيدة طويلة تعد من أشهر القصائد جاهلية واسلاما والتي منها :

روضة ذات حنوة وخزامى جاد فيها الربيع من سبله
بين علياء وابش قبلى فالغميم الذى الى جبله

و (بلى) تل بجانب وابش و (الغميم) موضع معروف
بالحجاز ، ولم يقف ياقوت على شواهد لهذا الوادى وأعنى به
وادى وابش وجبله حيث أن ياقوت لم يذكر عنهما شيئاً الا جملة
واحدة وأسندها الى غيره ولم يوضح موقعه بالضبط وفيما وقفد
عليه كفاية .

وادى برمة

اسم البلد برمة بكسر الباء وسكون الراء وهى غير برمة التى
بمصر ، أما هذه فبين خيبر ووادى القرى وعلى هذا فتكون فى
القديم من ديار ثمود وبها واد مخصب ذكره الشعراء والرجاز
فمن ذلك :

ببطن وادى برمة المستنجل

وادى الحجر

وهو الوادى الطويل الفسيح الذى يمر من بين الجبال المقطعة
الى آخر الحد الفاصل بين الجبال وسهول الأردن ، وكانت تسكن
بجانبه محبوبة مجنون ليلى - ليلى بنت مهدي العامرية لما رحل
بها زوجها ورد بن محمد الثقفى فنزلت بقرب الحجر مع زوجها
مدة طويلة فلحقها قيس وجلس على بعد منها بحيث يراها وربما

يزورها وتزوره فأنشد قصيدته النونية المشهورة التي منها
الشاهد :

نظرت ووادى الحجر بينى وبينها
فرد اليّ الطرف بعد مكاني

وادى الدوم

بتشديد الدال المفتوحة وتسكين الواو ثم ميم وهذا الوادى
شمالى خيبر الى قبلها وهو يفصل بين خيبر والعوارض ، وله
شهرة فى الربيع تنزل عليه البدو الرحل ينصبون خدورهم
ويأوون به مدة طويلة حيث تنبت به أعشاب جميلة صالحة لرعى
الابل كما أن للشعراء ذكريات به ، ومن أشهر من وصفه وذكره
فى شعره جميل بثينة وكثير عزة ومن ذلك قصيدة كثير التى
انشدتها بحضرة جميل فى وادى الدوم المذكور التى منها :

وأخر عهدي منك يوم لقيتني
بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل

وهذا الوادى لم يذكره ياقوت الا مقتضباً ولم يأت له
بشواهد .

وادى القرى

وتسمى اليوم (بالعلا) بضم العين ثم لام وألف من غير هزة،
وقد رأيت أن أذكرها لأن أكثر المؤرخين والمفسرين يعدونها من

مدائن صالح وهي في الحقيقة جزء منها لأنها متصلة بها اتصالاً تاماً لا يفصل بينها وبين المدائن حدود ولا جبال بل إن الجبال متصلة ببعض والأودية والمسافة بينها وبين المدائن نصف ميل فقط والراكب على البعير يصلها في بضع ساعات ، وهي عبارة عن واد فسيح بين جبال ، كثير العيون وموقعها الجغرافي بين الشام والحجاز وهي ملاصقة للحجر بديار ثمود وأحد أوديتها يتصل بتيماء وخيبر ، وسكانها خليط من عرب الشمال والحجاز وبعض أهل القصيم وحائل ومنقسمة إلى حارتين (الشتيق) بالشين المشددة المكسورة ثم (الحلف) بكسر الحاء وبها نخيل وزروع وعيون كثيرة وجوها جميل وكان لها ماض حافل وينسب إليها عدد من الأدباء ، منهم عمر الوادي الأديب المشهور والمنح المطرب في العصر الأموي ، وسبب تسميتها بوادي القرى أن الوادي من أوله إلى آخره مشتمل على قرى كثيرة ومياه وبساتين ، أما اليوم فهي كما ذكرنا آنفاً تشتمل على الحلف والشتيق وبها محطة السكة الحديدية التي تصل الشام بالحجاز ، وبمحطة السكة عمارات وبساتين تابعة لامارة البلد ، وكانت وادي القرى في القديم تشتمل على الشيء الكثير من النخيل والفواكه والقرى لكنها اليوم عبارة عن رسوم وآثار ماضية وليس بها سوى المياه الكثيرة ، قال المؤرخون : إن الحجر ووادي القرى منازل قضاة وجهينة وعذرة وبلي ، وكانت هذه البلدان قديماً تابعة لثمود الذين هلكوا وآثارهم باقية إلى الآن ثم نزلها بعدهم اليهود فاستخرجوا من كنوزها وحفروا أرضها حتى طلعت عيونها ففرسوا النخل وزرعوا واستوطنوا ثم نزلت عليهم قبائل قضاة ففقدوا بينهم حلفاً على أن يعطوهم من خراج البلد ويطعموهم على أن

يمنعهم من المغيرين من قضاة التي تسكن الشام وغيرها من القبائل .

ومن قصصها التاريخية أن معاوية رضى الله عنه مر في خلافته بها فتلا قوله تعالى (أتركون فيما هاهنا آمنين . في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) قال هذه الآيات نزلت في أهل هذه البلد وهي بلاد ثمود فأين العيون ؟ فقال له رجل جيولوجي : صدق الله العظيم أتحب يا أمير المؤمنين أن أستخرج العيون قال نعم فاستخرج ثمانين عيناً فقال معاوية : الله أصدق من معاوية .

وادی قرح

بضم القاف وسكون الراء ثم حاء ، واد فسيح يبدأ من وادی القرى الى نهاية الحجر من ديار ثمود ، ثم هناك بعض الجبال في الحجر تدعى بالقرح ، وذكر ياقوت أن القرح هو واد أو سوق بوادی القرى وهو قسبة البلد ، ونحن بصدد الوادی الذى يتصل بالحجر ، ووادی القرى كما أشرنا اليه سابقاً ، وهذا الوادی له شهرة وذكریات وذكره الشعراء ومنهم جميل بن معمر ، من قصيدة :

نحن منعنا ذا القرى من عدونا

وعذرة اذ تلقى يهوداً ويعشرا

منعناه من عليا معبد وأتم سفاسيف روح بين قرح وخيبرا

وهو يتصل بنخبير أيضاً ، وجاء في الأثر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مسجداً فى صعيد القرح قال فعلمنا مصلاه بعظم وأحجار فهو المسجد الذى يصلى فيه أهل وادى القرى وإلى هذا الوادى أشار عبد الله بن ربيعة رضى الله عنه من قصيدة :

جلبنا الخيل من آجام قرح يفر من الحشيش لها العكوم

وهناك قرية بحضرموت اسمها القرح أيضاً وقد أهلك الله بها قوم عاد وإلى ذلك أشار أمية بن أبى اصلت من قصيدة :

أهل قرح بها قد أمسرا ثغورا

وسوق وادى القرى كان يسمى بالقرح ، وله شهرة كبيرة كان يزاحم أسواق العرب فى الجاهلية ، وكان يرد إليه اللصوص من الأعراب والدائين وله شهرة فى ذلك الحين قال بعض بنى أسد من قصيدة :

تتابعن فى الأقران حتى حسيبها بقرح وقد ألقين كل جنين

ولما رأيت التجر قد عصبوا بها
مساومة خفت بهن يميني

المعالم والآثار

يرجع الفضل في الحصول على كثير من النقوش العربية الشمالية الى أمثال « دوتى » و « هوبر » و « أويتنج » الذين غامروا بحياتهم وقاموا برحلات شاقة فى شمال غرب بلاد العرب ، فى الفترة الممتدة من ١٨٧٦ - ١٨٨٤ م وقد بلغ ثلاثتهم « حایل » فى شمال قلب الجزيرة . وفيما بعد لما عبّد طريق الحجاج الواقع فى الجهة الشمالية الغربية وأصبح صالحاً للسیر فيه بفضل سكة حديد الحجاز ، استطاع أمثال « جوسن » و « سافيناك » سنة ١٩١٠ م الوصول الى خرائب الحجر (مدائن صالح) والعلاتيماء (١) كما زار المنطقة « موسل » عام ١٩١٧ م وفيلبى عام ١٩٥١ م وألّف كتابه « أرض مدين » الذى ترجم بعنوان « أرض الأنبياء » ، كما زارها الأساتذة الجاسر ، والأنصارى ، وعادل العيّاş ، وغيرهم من المؤرخين وخبراء الآثار من وزارة المعارف وبعض الجامعات السعودية ، كما قامت بعثة من المستشرقين الأمريكان بزيارتها عام ١٩٦٢ م صاحبهم العالم الدكتور « محمود الغول » ... ومن صوّر الكتابات الثمودية وكتب عنها « أ. جام » A. JAMM فى بحثه « دراسات ثمودية » باللغة الانجليزية طبع « واشنطن » ١٩٦٧ م كما يوجد بمتحف « جدة » وجامعة الرياض نقوش وآثار مختلفة عن هذه المنطقة . ومن أعظم الآثار « حجر تيماء » الشهير الذى ابتاعه « هوبر » من أحد شيوخ تيماء

(١) « ديتلف نلسون » ص ٢٨ « التاريخ العربى القديم » :

وأرسله الى متحف « اللوفر » بباريس عام ١٨٨٣م وهو مكتوب بالآرامية ، ويرجع تاريخه الى القرن الخامس ق.م. وفيه أن أحد الكهنة استقدم الهاً جديداً الى تيماء يدعى « سلم هجم » فأنشأ لهيكله وقفاً وعيّن له كهانة وراثية «(١)» ولا تزال بقايا معبد « سلم » فى قمة جبل « غنيم » الذى يطل على تيماء من الناحية الجنوبية الشرقية ، حيث شاهد فيلبى .. من بين الصور المنقوشة على الصخور « صورة رأس بيضاوى الشكل لا لحية له واسع الجبهة يبرز من طرفيها قرنان فوق أذنين واسعتين ... ويرجح أنها صورة « الأله سلم » الذى يُرمز له برأس ثور ، هذا الرمز الذى نجده منقوشاً على بعض الكتابات الثمودية .

وقد آن لى بعد هذا التمهيد الوجيز أن أتحدث عن المعالم والآثار التى شاهدها :

فى كل جبل مسكن :

انك اذا أقبلت على هذه الديار ترى أنك بين آلاف الجبال المنفصلة عن بعضها بشكل هندسى رائع ، حتى ليخيل اليك أنك تمشى بين شوارع من جبال بعضها أحمر وبعضها رمادى وغرابيب سود ، كل جبل من هذه الجبال منحوت نحتاً فنياً رائعاً بحيث أن كل جبل يعبر عن سكنى عائلة مستقلة عن الأخرى ثم ترى عند مدخل الجبل دهليزاً مفرغاً بالأيدى الجبارة الناحية ، ثم ترى سلماً من الصخر كالمصعد تصعد به الى بعض المجالس الجبلية الجميلة وبعض المصاعد يوصلك الى غرف واسعة وأمامها عرصة

(١) تاريخ العرب لفيليب حتى ص ٥٠ .

لها مقدمة جبلية فيها نحت كالشباك تطل منه على نوافذ صغيرة ،
ويدخل من هذه النوافذ نور وشمس وريح حتى أن الهواء إذا
انطلق بشدة في جوف هذه الجبال خلته أصواتاً موسيقية وأحاناً
لهربية .

ثم انك ترى على الأبواب ونوافذ معظم الجبال سواء منها
النصفية أو الأثالث نقوشاً قديمة الحفر وبعض الكتابة الثمودية
كأنها توحى باسم صاحب الجبل المنحوت وتاريخ نحته وأفراد
هائلته .

جبل شاهق

كما أنك ترى عند مدخل المدينة مما يلي الشام بعد اجتيازك
لسهول أودية (المعظم) التي بها محطة سكة حديدية قديمة ،
ترى جبلاً شامخاً رفيعاً مهفهب الجوانب منفصلاً عن بقية الجبال
ألمس القمة أحمر اللون وفي تسلقه صعوبة إذ لا يتسلقه إلا
الرياضي المتمرن القدير ، ويسمى هذا الجبل العملاق بجبل
الحوار أي فصيل الناقة التي عقرها قوم صالح عليه السلام حينما
هرب عنها عندما طعنها قدار بن سالف الشقي الأول برمحه
الطويل وكشف عن عرقوبها بسيفه البتار .

نقوش في هذا الجبل

قد وقف بنا المسير عند سفح هذا الجبل العظيم الخالد وكان
معي من الرفاق الشيخ عبد الله بن غريص ورفاقه وهو الذي
قال لي إن هذا الجبل اسمه (الحوار) وسرد لي قصة خيالية عنه
وعما يراه الرعاة والمداؤون للابل عندما يعبرون من حول هذا

الجبل مما يسمعون من زجل الجن وعزف العفاريت ، طبعاً ترهات لا يصدقها العقل لكن البدو يؤمنون بها كأنها عقيدة راسخة مطبوعة في مخيلتهم ، لم نستطع أن نتسلق هذا الجبل الا بعد السفح بقليل وكل ما هنالك أننا استطعنا أن نصور بعض المناظر منه ومع ارتفاعه لم تستطع آلة التصوير الا أن تصور المناظر النصفية منه والحروف المنقوشة عليه التي مر عليها آلاف السنين أما سفحه فلم تكن فيه مغارات صالحة للولوج فيه كما أن بسفحه أرضاً متحجرة تنبئ بعمارة كانت قريبة منه غاصت عند الرجفة ونزول العذاب ثم قلت لبقية الرفاق ان هذا الجبل كانت تسميه العرب (القارة) وقد ضربت به الأمثال وقالت (أنصف القارة من رامها) وقد قال بذلك أغلب المفسرين وأهل الحديث كما أن بعضهم يسمى هذا الجبل (صورا) فكيف المقارنة بين الأوجه الثلاثة (قارة . صور . حوار) فقال الرفاق من مؤرخي الصحراء انا لا نعرف الا اسم الحوار فأثبتته في هذا المؤلف بهذا الاسم ويجب أن يعتمد لأنه يعتبر كناسخ للاسمين الأول والثاني كما يجب علينا الاحتفاظ باسم الجبلين المسميين بقارة وصور حتى نهتدي عليهما وعند فقدهما نعلم جيل (الحوار) كما سمعناه وشاهدناه وكما يعتقد ، أن من يجيد قراءة الحروف الثمودية القديمة يمكنه أن يصل الى نتيجة والله أعلم .

الوادي المشؤوم وبئر الناقة

وفي الحجر على بعد مرحلتين واد فسيح يتخلله شعب أسود بين جبلين أسودين عظيمين طويلين على شكل الهرمين ، هذا الشعب يسمى (بالزحم) بفتح الميم وسكون الزاي وفتح الحاء

...ها ميم ، هذا الوادى المشؤوم موضع ارتكاب الجريمة المنكرة
 (مفر ناقة الله) وآية رسالة صالح عليه السلام وهذا الاسم
 ...سمية البدو ورعاة الأغنام ولم أجده فى الكتب القديمة
 ...الت البدو عن سبب تسميتهم هذا الشعب بهذا الاسم فقال
 ...هم سمعناه من آبائنا وهم سمعوه من الأجداد بالتوارث وقد
 ...الناهم كما سألنا فقالوا : لأن الناقة كانت عظيمة تزاحم
 ...والمواشى فى هذا الشعب اذا مرت .

كما أن بالقرب من هذا الوادى الفسيح بئر مطمورة ، وعلى
 ...خطوات منه بئر عظيمة تسمى لليوم ببئر الناقة ، مأوها
 ...ب ماء فى ديار ثمود ولعلها هى التى كانت السبب فى
 ...الغ بين القوم الضالين والقوم المسلمين ممن آمن بصالح
 ...السلام .

ملوحة الماء بعد العذاب

ويوجد على بعد ثلاث مراحل من الحجر أودية فسيحة مسبخة
 ...أبيض ، وذلك من الملوحة والأجونة والعياذ بالله وهى
 ...بوضوح الى العيون التى غارت فى جوف هذه الديار حين
 ...العذاب على القوم .

الجبال الشامخة

اننا مررنا بمائة وثمانين جبلا كلها شامخة عدا آلاف الجبال
 ... (النصفية) وهى التى غاص نصفها فى جوف الأرض ولم
 ...لها سفوح ومن (الأثالث) وهى التى يعبر كل جبل منها
 ...سكنى عائلة منفردة ومنحوت من كل جبل منها ما يقارب

ثلثه والباقي لم يفرغ وهذه أيضاً معظمها غاص في الأرض فلا ترى الا قممها وجزءاً بسيطاً منها وبعضها على ما هو عليه .

شكل محاريب

وعلى بعد أربعة أميال من الحجر مما يلي الشام واد فسيح بين جبال وأرض هذا الوادى العظيم مفروشة بالحجر الزلط البيضاء اللون يطلق عليه البدو الرحل اسم وادى (الأنبياء) هذا الوادى مقسم الى دوائر مربعة محددة بهذه الحصباء الجميلة التى عند احتكاكها يخرج الشرر فتضيء لك معالم الطريق ، أوقد بها النار وفى وسط هذه المربعات الزلطية دائرة محرابية معدة للصلاة يطلق عليها رعاة الغنم اسم (محاريب صالح) عليه السلام .

مؤرخ صحراوي يقر الأسماء

وأحب أن ألفت نظركم القراء الفضلاء الى أن معظم هذه الأسماء دونتها من أفواه عرب الصحراء والرعاة الذين يرتادون هذه الأماكن وغالباً ما يسكنون بجوارها فى أيام الربيع وهطول الأمطار حيث ينصبون بيوتهم المتنقلة المتخيمة ويطلقون مواشيهم لترعى فى الأعشاب الربيعية ، وقد وافق على هذه الأسماء رجل كبير فاضل كان معنا فى هذه الرحلة الممتعة التى زادت على الشهرين ، واسم هذا المؤرخ الصحراوي (عبد الله بن غريص) مصغر غريص وهو من زعماء بعض قبائل الشمال وتاجر أغنام وابل وفى الوقت نفسه شاعر بدوى فطرى حيث يشترك فى الأناشيد والأهازيج التى يهزج بها البدو الرحل فى الحفلات التى

كانت تقام لنا عندما نحل ضيوفاً على أحد هذه البيوت الصحراوية
 بما أنه مؤرخ صحراوي ويفهم كل قطعة من تلك الأودية
 الصحارى والأمكنة التي عفت آثارها كما يعرف أسماء الجبال
 كلها من الشام الى المدينة المنورة ومحترم عند أمراء آل سعود
 من حين ما بدأنا رحلتنا هذه التي بدأت من معان حتى المدينة
 المنورة موضع الحفاوة من كل أمير ، وأولها (الحاج) التي هي تحت
 الحكم السعودي وكان أميرها اذ ذاك الأمير (أحمد الأشيقر) الذي
 أكرم وفادتنا وبعث بابلنا الى تبوك وأراحنا من وعشاء السفر
 حيث أمر بآركابنا جميعاً في سيارة الحدود الى تبوك برفقته لأنه
 كان على أهبة السفر اليها فاسترحنا من وعورة الطريق التي لم
 نهم تعبدها آنذاك وكان معنا في السيارة بعض خاصته ، ولما
 دنا من تبوك أكرم وفادتنا أميرها آنذاك الأمير السعودي (محمد بن
 سلطان) الذي أقام لنا تقيعة عظيمة حضرها الأمير وصحبه ، أما
 أمير العلا فكان (ابن هذيان) هو المكرم المتفضل حيث كان
 يكرمنا كل يوم حينما نرحل الى ديار ثمود ويزودنا بكل
 ما نحتاج اليه علاوة على ما عندنا من ميرة ، وكنا نأتى في المساء
 مع ابن غريضة وصحبه وجميع رفاقنا في الرحلة فنجد الموائد
 قد بسطت والكرم السعودي في انتظارنا لأن المبيت بأرض ثمود
 ممنوع شرعاً ولا نستطيع المكث بها ليلاً لظلامها وعدم تمكننا
 من شرب مياهها لذلك تجدنا مولعين بالاياب الى (العلا) عندما
 نهب شمس الأصيل .

وعلاوة على هذا الكرم والعون نجد أن عرب الصحراء من
 الشام الى المدينة يكرمونا ويقدمون لنا الأراانب والطباء التي
 يصطادونها فنشوى ما نشتهيهِ ونتصدق بالباقي واذا دعينا الى

خباء معمد ذبح الحروف على باب الخباء وعمل الشريد والعصيد مع البان النياق والقهوة العربية ونفذت كل بنود اكرام الضيف المباحة ثم نمضى ليلتنا كلها فى سعادة وفرح وأناشيد بدوية ورتص عربى بالطبول والصنج والعزف على الربابة ، أما قبائل الحويطات وبنى عطية فكنا اذا نزلنا على خباء من أخبيتهم نلمس ألوان الكرم والاحترام حيث يقف المضيف على باب الخباء ولا يأكل مع الضيف لا هو ولا أولاده ولا أقرباؤه بل يقفون على رءوس الضيوف باللبن الرائب الجميل والماء البارد والمحادثة اللطيفة والنكت المشهية للطعام حتى اذا ما فرغ الضيوف من تناول الطعام يصب المضيف الماء على أيدي ضيوفه ويحييهم ويبش فى وجوههم ، ثم يستأذن ضيفه لتناول الطعام فيجلس على المائدة ومعه أهل الخباء ومن دعى على شرف الضيوف فيأكلون ما تبقى من اللحم والأرز أو الشريد ، وكيفية تناولهم الأرز غريبة فهم يجعلون الأرز على شكل (كرين) أو مفائل ويهزون فى أيديهم هزاً شديداً ثم يفوقونه نحو أفواههم ويقذفون به الى داخل الفم كأنما أحكموا اصابة هدف فترى الأرز يتطاير نحو أفواههم كما يتطاير الشرر حيث يأكلون بشراهة عجيبة ولا يتحدثون على الطعام حتى اذا ما فرغوا من التناول مسحوا أيديهم فى شعورهم التى على رءوسهم مسحاً جيداً حتى لا يبقى للزهوة (١) أثر فى أيديهم ثم يقبلون على

(١) الزهوة ما علق فى اليد من شحم أو دهن والزهمة بضم الزاي هى الشحم وفى المثل العربى (فى بطن زهمان زاده) مثل يضرب للرجل الذى يدعى الى الغذاء وهو شبعان .

ضيوفهم مسلمين من جديد ومقبلين الناصبة أو الرعوس ثم تدار القهوة العربية التي تصنع من البن والهيل ويبدأ صاحب الخباء المضيف بالحديث مع الضيف الى ما بعد ثلث الليل أو نصفه حيث يستعرض المضيف قصة حياته فيعرض الى ضيفه ما قاساه في أسفاره أو ما حصل عليه من خير وشره لا تقل عن الساعة ثم يأخذ استراحة ويبدأ الضيف في الحديث فينصت المضيف لضيفه مع الاشارة باليد والعين والغمز ولترجيع لآخر كل كلمة فمثلا اذا كان آخر جملة كلمة (غنم) قال المضيف (غنم) واذا كان آخرها كلمة (ألم) قال المضيف كلمة (ألم) الخ وهو نوع حديث من المحادثة الصحراوية لفت النظر ، ثم يخرج الضيوف والمضيفون الى خارج الخباء ويحضرون الطبول ويوقدون النار في وسط الوادي ويبعثون بالرسل الى المغنين والمغنيات من البدو فيحضرون بسرعة مذهلة ويبدءون في الرقص والغناء الى التعريس ثم يرجعون الى بيوتهم ويرجع الضيوف الى خباء الضيافة ليناموا برهة وجيزة من آخر الليل اذا طلب الضيوف النوم والا فلا نوم ولا استراحة بل حديث وأناشيد وخبز مملول (١) .

وعندما ينصدع الاصباح وينبلج ضوء الفجر يحضرون الماء

(١) أى خبزة في الملة والملة الرماد الحار ، يقشعون منه الجمر ثم يضعون القرص عليه ويسترونه برماد حار أيضا ثم من فوقه الجمر والرمل ثم يخرجونه بعد ساعة وكأنه الورد الأحمر ، وأحسن الطهي ما كان مملولا اذا اتقنه الحاذق بالملة قال طرفة :

فظل الاماء يمتلئن حوارها ويسعي علينا بالسديف المسره

فى الأقذاح للظهور والوضوء والصلاة ؤ اأضار طعام الافطار من عسل ولبن وخبز مبسوس بالسمن أو لزيد بعد مله وتوريده ثم يحضرون طبقا من التمر الجيدة وتخر القصعة العظيمة فى صحن الخباء حيث يثرد العيش المورء ولخبوز فى الملة ويصب عليه نوع جيد من السمن والعسل و يلتجميع لتأ جيداً ثم يقول رئيس الخباء وهو المضيف لضيفه : باكم الله على ما رزق كلوا هنيئاً وسامعوناً فى القصور .

مكننا على هذه الحالة الجميلة مدة نين يوماً لمسنا خلالها الوائاً من العجائب والعادات والتقاليد .

واى الرجم

مررنا فى رحلتنا هذه بعد ما اجتز سهول (هدية) وهى بفتح الهاء وكسر الءال وفتح الياء المشءة بعدها التاء المربوطة المنقلبة هاء فى الوقف على وزن عطية وهى اسم لمحطة من محطات السكة الحءيءية الحجازية المتقلعة القطن والتى لا زال بنیان العثمانين موجوداً بها والذى أصبح الآن مربضاً للأغنام وعطنا للابل كما لا زال اسم هءية موجوداً كتب محطات السكة الحءيءية الآن (١) .

بعد ما اجتزنا هذه السهول سهول هية أقبلنا على واء عظيم

(١) هءية اسم للمحطة واسم للسهول التى بعد واء المعظم قبل العلا - وهنا هءية ثانية ما بين العلا والمءينة المنور لكنها اسم لواء صغير على بعد مرحلتين من تبوك وليست معطة للسكة الحءيءية فليلاحظ ذلك .

قبل (الحجر) بثلاث مراحل تقريباً وبالضبط من قرب محراب صالح .

الثقينا بهذا الوادى الفسيح فوجدنا أرضه مفروشة بالحجارة التى تشبه أحجار الحرار وهى فى حجم البيضة ، فقال لى الرفاق وفى مقدمتهم الشيخ ابن غريض هذا وادى الرجم وهو الذى رجمت فيه الملائكة ، التسعة الأرهاط الذين ذكرهم الله فى الآية الكريمة : (وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) وقصتهم قد مرت فى تفسير الآية الكريمة .

الجبال وأنواعها

فى الحجر وقرب المرحم (وادى الرجم) ومساجد بديار ثمود وبالقرب من أودية (المعظم) (١) و (هدية) جبال مختلفة الأشكال والأحجام والتحت والنقش والاسم فمنها (الأثالث) وهى معظم ما فى وادى الحجر من جبال متعوتة ومفرغة تفريفاً فنياً بحيث انها تصلح للسكنى والنزهة والتحصن والوقاية وهذه هى التى ذكرها المفسرون والمؤرخون واسمها موجود فى الكتب ولا زالت باقية الى هذه اللحظة وبعضها ما يسمى بالأناصف أو الجبال النصفية وهى من تسمية البدو فى وقتنا الحاضر وسنأتى بتسط منها وهذه لم نجد أسماءها فى الكتب القديمة الا بالمقارنة فقط كما سيأتى وبعضها شاهق شامخ لم تمسسه الأيدى الناحية وما ندرى لماذا لم ينحتوها ألعلم قوم ثمود بما فى جوف هذه

(١) المعظم أيضاً معظمان - المشهور منهما الوادى الكبير الذى يفصل نبوك عن مدائن صالح وبه معطة حديدية وبئر مطمورة - والمعظم الثانى - لسبب صغير بين جبال (صرخود) و (دحلر) .

الجبال من كنوز ومعادن وتنقصهم الخبرة الكافية لاستثمارها أم لعدم قدرتهم على نحتها ونقشها وهذا مما يستبعد طبعاً ، وبعضها منفرد ومسمى باسمه الأول كأنه علم من الأعلام لا يحتاج الى استفسار ولغات الآن بقسم من هذه الجبال التي وقفنا عليها وسجلنا أسماؤها من أفواه البدو المقيمين حولها والتقلنا لها بعض الصور فمنها :

أولاً - (جبل الذهب) : وهذا الجبل لم أقف على اسمه في الكتب القديمة ، انما البدو المقيمون حوله يسمونه (جبل الذهب) بينه وبين جبل الحوار ٣٥ جبلاً مما يلي جبل (نهود) يضم النون والهاء ، وارتفاعه أكثر من ألف قدم وهو متصل بسلسلة صغيرة من الجبال المنحوتة وهو في وسطها كأنه سنام بعير ضخم وفي هذا الجبل عروق ملونة كأنها أسلاك كهربائية عارية ولعل لتسميته بالذهب بعض الشيء من الصحة بدليل عدم نحتة كباقي الجبال مع العلم بأنه جبل عظيم له قيمته الجبلية والحجرية الصلبة كما أنه صالح للنحت والحفر والسكنى .

ثانياً : (جبل الطيور) : وهو على بعد نصف ميل من المزمح مكان عقر الناقة ، هذا الجبل أيضاً غير منحوت وهو أعلى من جبل الذهب يقليل وترى عليه تماثيل الطيور ، وعندما تسلقناه وجدنا بقمته بعض الحفر الحشرجية (١) المنحوتة بشكل جذاب

(١) نسبة الى العشرج وهو ما يشبه الحفرة أو النقرة في الجبل وتمتلاً من ماء الأمطار وأصل العشرج الذي على وزن جعفر معناه جوز الهند الفاخر ثم استعير للنقرة في الجبل التي تمازج من ماء السماء بجامع لذة الشرب من هاتين النقرتين .

وهذه الحفر تملأ ماء عند هطول الأمطار وهو أيضاً لم يفرغ ولم ينحت جوفه للسكنى ، فتجد الطيور والمكاكى والوحوش الكاسرة ترد هذه المشربات الطبيعية الجميلة .

كما يوجد على حافة كل مشربة بعض الأعشاب الجميلة التى تشبه أزهارها ثمر أعشاب الثغامة (١) وبأسفله نحت بسيط يسع قطعاً من الغنم وليس به مقاعد للاستراحة .

ثالثاً - (جبل صرخود) : من أسماء البدو ولا يوجد له ذكر فى كتب الجغرافيا لا القديمة ولا الحديثة وهو منحوت من عدة نواحي ، من أطرافه الأربعة وكل نحت يكفى لجلوس أربعة أشخاص وعلى ما يظهر أنه معد لعبادة الكفار لأن فى كل مغارة تمثال صخرى يشبه أصنام الوثنيين لكنه محفور فى نفس الجبل .

رابعاً - (جبل بلاعم) : بفتح الباء واللام بعدها ألف ثم عين مكسورة وميم وهو من أسماء البدو ، وهذا الجبل ليس به نحت كبقية الجبال المنحوتة المعدة للسكنى - الا فى قمته فتجد مغارة صغيرة لا تصلح الا للاستظلال فقط أو للوقاية من الأمطار ولا نعلم سبباً لتسميته بهذا الاسم ، وعدم نحته يدل على أنه ذو قيمة معدنية كما يقول بعض خبراء البدو هناك .

خامساً - (جبل دحدر) : بفتح الدال وسكون الحاء وفتح الدال الثانية بعدها راء ، وهو من تسمية البدو أيضاً ، وهو

(١) الثغامة بضم الثاء وهو تبت له زهر أبيض يشبه عناقيد الكروم لكنه ناصع البياض وفى الأثر - جىء بابى قعافة والد أبى بكر رضى الله عنهما يوم الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه كالثغامة الخ الحديث الصحيح .

جبل شامخ قريب من جبل القنارة أو الحوار يفصل بينهما جبل أسود صغير منفصل عن الجبلين وليس به نحت مطلقاً ولعله من الجبال التي لا زالت محتفظة بكنوزها المعدنية أو غيرها من الآثار .

سادساً - (جبل الكهوف) : وهو اسم حديث لم أقف عليه في

الكتب القديمة الا من أفواه البدو وهذا الجبل بينه وبين جبل (شوغر) ١٣ جبلا مقطوعة عن بعضها وهو عظيم وشامخ وبه ١٦ مغارة وكل مغارة منحوتة بشكل مربع وعرضتها تسع لجلوس عشرة رجال على ما يظهر أن هذا الجبل مهياً لنزول الضيوف لأن في كل مغارة من هذه المغارات صخرة ملساء يضع عليها الضيوف سواعدهم للاستراحة كأنها متكأ ، وشكل هذا الجبل رائع جذاب كأنه دار ضيافة بالنسبة للزمن الحاضر ، وهذا من الجبال التي يمكن أن يبنى بسفحها مظلة للجلوس ونافورة ماء أرتوازية ، لأن الوادى المجاثم عليه هذا الجبل العملاق خصب وذو أعشاب كثيفة تصلح لرعى المواشى وبعضها ذات زهور عطرية .

سابعاً - (جبل بكرة) : بفتح الباء وسكون الكاف وفتح

الراء بعدها تاء مربوطة وهو من تسمية البدو أيضاً ، وبينه وبين وادى الملح وسهول فصلان (١) المجاورة لوادى هدية ، بضعة أميال

(١) بفتح الفاء وسكون الصاد ثم لام مفتوحة وألف ونون على وزن فعلان - وهذا الجبل عبارة عن كتل صخرية ملتزمة ببعضها وهي التي نتجت وخرجت منها آية الله ناقة صالح عليه السلام وهي على بعد مرحلتين من محطة الحجر وتقع في آخره وفي وسط قرية الناجية الغائرة في الأرض ويعلو الملح الطبقة الأولى من وجه أرضها ويلاحظ أنها في آخر السهول المشار إليها وهي الى =

تقريباً وهو عبارة عن كتلة صخرية تشبه في مجموعها جبلاً صغيراً كأنه ذو قروح ملتئمة مغروزة فيه عروق جبلية مسودة وهذه العروق تشبه خط اللحام الذى يلحم أو يلزق خطين عمودين أو ما يشبه ذلك ، وبعض رعاة المواشى يسمون هذا الجبل (بالعبرة) بالاضافة الى اسمه الأول والعبرة بكسر العين وسكون الباء وفتح الراء ثم تاء مربوطة .

وهذا الجبل من العبر الظاهرة للعيان ولو سألت أي بدوى هناك ما هذا الجبل ؟ لقال لك ببساطة ان هذا الجبل الصغير الذى يشبه الكتل الصخرية هو الذى خرجت منه ناقة الله عبدة وآية لقوم ثمود ومعجزة لرسول الله صالح عليه السلام نعم انه من آيات الله فلو تأملته لوجدت أن بين كل صخرة وأخرى ما يشبه العمود المسلح فى زماننا هذا وليس به أى مغارة ولا نحت .

ثامناً - (جبل جنيدع) : يتوسط مجموعة من الجبال النصفية المنحوتة وهو فى وسطها كالأكمة العظيمة أو كالقصر الكبير ويتوسط مجموعة من الجبال المسماة (بالأثالث) وهى من الجبال المذكورة فى تاريخ مدائن صالح وموقعه فى وادى (تبر) بكسر التاء بعدها باء ساكنة وراء ، من أرض الحجر ولعل لتسميته بالجنيديع بعض الصحة أو بعض الاقتباس من اسم (جندع) زعيم المؤمنين وأميرهم آنذاك ، وهو أول من آمن بصالح عليه السلام ولعل المجموعة المجاورة له من (الأثالث) خاصة

= الحدود الشامية أقرب وتقع فى أول مرحلة اذا ولجت الحجر من طريق الشام
وأما اذا دخلت من ناحية العلا فتسير مرحلتين على الابل وتقطع مدينة الحجر
عرضاً .

بالمؤمنين المستضعفين في ذلك الوقت وهذه المجموعة بما فيها هذا العملاق يغلب عليها اللون الأحمر القاتم ، وكل جبل منها فيه ثلاث مغارات ماعدا جنيدهما ففيه سبع مغارات كل مغارة مساحة داخل أرضها ثلاثة أذرع تقريباً ومما يدل على أن هذه المجموعة الجبلية للمؤمنين خاصة ، أنك لا تجد فيها أى تمثال أو صنم ، كذلك أبواب هذه المغارات واسعة ولا تضايقك في الدخول بخلاف مغارات الكفار فانها ضيقة المداخل وبدون انحناء أو حبو لا يمكنك الدخول فيها .

ووجه الغرابة في هذه المجموعة من الجبال أنها تبعد عن منطقة العذاب بنحو ميلين أو أكثر قليلا ، وكأن العذاب لم يمر بها أو الرجفة ، فجبالها كلها بارزة على سطح الأرض لم يتجلجل ثلثها أو نصفها في الأرض كما هو الحال في جبال الحجر .

تاسعاً - (جبل العذاب) : مشهور لدى الرعاة وتجار المواشي وسكان الأخبية وهو الجبل الوحيد المنفصل عن بقية الجبال على مسافة بعيدة تتراوح ما بين الثلاثة الى الأربعة من الأميال وهو أقرب ما يكون الى وادى المزحم ، موضع ارتكاب الجريمة والمعصية ، وهذا الجبل يشبه القلاع الحديثة ، كما أن نحت أنيقه يشبه السلالم فلماذا يمكن تسلقه بكل سهولة ، ومساحة الوادى أى وادى المزحم تزيد عن تسعين متراً ، وهذا الجبل يسمى بجبل العذاب وبعضهم يطلق عليه (جبل الحب) اذ انطلقت منه شرارة العشق الموبوءة - ان صحت الرواية - والذي كان سبباً في اهلاك أمة بأسرها اذ تناول الزروع والبيوت والسهول والأودية والحيوان واذا ولجته ترى بجوفه أربع مغارات متقاربة من بعضها توحى بارتكاب الجرائم والعريضة ، هذا الجبل

كانت تسكنه (عذراء ثمود) فهم وتحير فيها الأزرق وهو أحمر ثمود .

الجبال النصفية

بكسر النون وسكون الصاد وهى التى نصفها غائر فى الأرض ونصفها العلوى بارز على وجه الأرض وتشمل معظم وادى الحجر الى حدود هدية وخنزيرة ، وهى المحطة السابعة للسكة الحديدية من الأردن ، ويقع معظم هذه الجبال بالمنطقة الصيفية شمال (الكاتبة) على بعد ميلين من محطة الحجر الحالية تقريبا ، ويقع جزء من هذه الجبال فى سهول (وكور) بضم الواو والكاف وسهول (سليم) بضم السين وفتح اللام ، ويحدها شرقاً هضبة (العطيات) وجبل (الملوحة) بضم الميم وفتح اللام بعدها واو مفتوحة مشددة وحاء ، وهذه السهول التى تقع فيها هذه (الأناصف) أو الجبال النصفية ، مصيف لقوم ثمود وبها عماراتهم وقصورهم الغارقة فى الرمال والمتجلجلة فى أعماق الأرض على مسافات بعيدة لأن هذه الجبال الجاثمة على أنحائها والغارق نصفها أو ثلثها فى هذه الأرض ، معظم مغاراتها غارق الى النصف فكلها مغطاة بطبقات صلبة من التراب المتحجر من عهد العذاب الى يومنا هذا .

وفى جوف هذه السهول ، ومما يدل على أن نصف الجبل غارق فى الرمال ، المشاهدة بالدليل المنظور ، والبذو هناك يطلقون عليها هذا الاسم من قديم الزمن ولا يدرون لماذا سميت به ، ويعتبرون غياب سفوحها عن الأنظار وعدم وجود مسالك لتسلقها دليلا قاطعا على غرق قسم كبير منها فى الأرض .

وقد تواترت الأدلة على أن بنيان قوم ثمود وعماراتهم الشاهقة كانت فى هذه السهول بدليل موقعها الجغرافى والصيفى ،

اذ كانوا يسكنون البيوت المنحوتة داخل الجبال فى الشتاء ،
والقصور العملاقة فى الصيف ويشير الى ذلك القرآن الكريم فى
قوله تعالى : (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم فى
الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحون الجبال بيوتاً) الخ
الآية .

فكانت بيوتهم المنحوتة فى جوف الجبال مجهزة لسكنى الشتاء
والبيوت المبنية فى السهول مهياة لسكنى الصيف . وكانت صاعقة
العذاب قد زلزلت جميع السهول التى عيها القصور الصيفية
ففاصت وتجلجلت ابتلعها الأرض بما فيها من كنوز وأثاث ،
ومن كان داخل الكهوف الجبلية أصابه الريح الصرصر أو صُئِقَ
بكهرباء الصواعق فكانت قبورهم فى داخل بيوتهم الجبلية .

ان هذه (الأناصف أو الأثالث) من الجبال تبدو متراصة
كأنها على خط مستقيم غير منحرف ولا منحرج وان أول جبل منها
يسمى بـ (المزوز) ويبلغ ارتفاعه ٩٠٠ قدم تقريباً وهو بارز ،
نصفه على ما يبدو أو ثلثه على وجه الأرض ثم تتصل به طبقات
سطحية متحجرة لا يزيد ارتفاعها عن متر واحد ثم تلتحم بسلسلة
(الجبال النصفية) المذكورة التى يبلغ ارتفاع كل منها ٥٠٠
قدم تقريباً وليس بها تقطع ولا انفصال كالجبال الشتوية المعدة
لسكنى الشتاء وهى تبدو فى منظرها كالقنار وكل قمة من هذه
الجبال منقوشة ومحفورة بشكل جميل جذاب .

ثم ان السيول العظيمة الجارفة التى تأتى فى أيام مواسم
الأمطار الغزيرة تارة ما تحدث الفجوات وبعض الحفر العميقة
فى بعض هذه السهول والأودية فيطمع البدو وبعض الرعاة
العابرين والمارين بأغنامهم فى هذه الجهات بعد اقلاع السيول

اجفاف الأرض أن يجدوا شيئاً عليهم يغثرون على شيء من آثار
المجبارين المغذبين الفارقة منازلهم في جوف الأرض ، أو لعل
اسطح منازلهم الفارقة تقذف بشيء من تلاد القوم مما صهرته
الأرض على زعمهم فيعلقون عليها آمالاً عظيمة .

جبل المروج

ويتقع في الطرف الآخر من وادى (الوكور) الذى مر ذكره
هو على حدود الأثالث بالمنطقة الصيفية ، جبل مرتفع شامخ ،
يريد ارتفاعه على ألف قدم بالنسبة لجبال مدائن صالح .
وبسفح هذا الجبل أعشاب مختلفة الألوان والرائحة فمنها
ما ترعاه الابل ويسمى (جميلا) ويسمى (الرمث) ويسمى
(غراره) ويسمى (الحمض) وغير ذلك مما لا حاجة الى ذكره .
وبقمته مستراح فسيح كأنه سطح منزل عظيم وتنبت بقمته
اعشاب ذات منظر جميل وأريج عطرى كأنه الزئبق الورد ،
وعلى ما يظهر أن هذا المستراح كان مجهزاً ومهيأ لاستراحة
المنعمين من قوم ثمود ، كما يوجد في وسطه نحت بسيط ربما
يظلل الرهط من القوم عند هطول الأمطار ، كما يوجد في سقف
النحت تمثال يشبه رأس النسر منحوت من نفس الجبل وكأن يدا
ماهرة قد حفرته وأحكمت شكله وصنعه بحيث لا تفرق بينه وبين
النسر الحقيقى الا اذا تأملته ودقت فيه النظر وانه ليخيل
للدخل أول الأمر أن نسراً حقيقياً يكاد ينقض عليه وكأنه صورة
طبق الأصل من التماثيل المصنوعة من الشمع فى الوقت الحاضر
كما فى متحف الشمع بمصر بحدائق حلوان أو متحف الشمع فى
أبدن بمخطة (مدام طوسو) ، ولا أعلم أهو معد لعبادتهم من

جملة ما يعبدون من أصنام فى ذلك الوقت أم مجرد زينة معلقة فى النحت ، كما وأن أرض هذه المغارة مفروشة بالحصباء الجميلة التى تشبه الفسافس والفسيفساء التى تلتزق وتلتصق ببعض جدران المساجد فى الخارج .

وإذا حفرت قليلا بعد ازالة القشرة المتحجرة وظهر لك الوجه الحقيقى من الأرض فى عرصة هذه المغارة وطرقت الأرض بحجر غليظ أو مطرقة سمعت رنيناً يوحى بدفن مدخرات فى هذا النحت .

جبال الأتالاث

وهذه سلسلة أخرى من جبال قوم ثمود وتبدأ هذه السلسلة من بعد محطة (خنزيرة) بكسر الخاء وهى محطة للسكة الحديدية العثمانية الخربة على بعد ثلاث مراحل من شرق وادى الغميم فى اتجاه (المعظم) حتى تصل الى الحجر وهى الأتالاث المذكورة فى التفسير غرب قرية (الكاتبة) وجبالها مقطعة عن بعضها وبها شبابيك وأبواب ونقوش وإذا بدأت فى تمييزها وعدّها تبدأ من بعد الحجر بمحطة واحدة من محطات السكة الحديدية العثمانية وسبب تسميتها بالأتالاث هو غرق ثلثها فى الأرض كما يزعم البدو الرحل والسياح وكما وافق على هذه التسمية الشيخ عبدالله ابن غريض رئيس القافلة التى أنا من ضمنها . أما التاريخ القديم فلم يذكر شيئاً عن سبب هذه التسمية .

وصلنا الى صخرة الناقة على بعد مرحلة ونصف من مدينة

الحجر وهى أى الصخرة عبارة عن جبل صغير منفرد يقع فى غرب وادى المزحم وهذا الجبل كأنه صخرة عظيمة ملقاة فى جوف الوادى فلا هى تشبه الجبل من حيث السفح أو القمة ولا هى تشبه الصخرة التى يطلق عليها اسم الصخرة وهذه الصخرة أو هذا الجبل الصغير يطلق عليه الرعاة اسم جبل الناقصة التى خرجت منه حينما طلب القوم ذلك وهم ثمود طلبوا خروج ناقه عشراء من هذا الجبل فأخرجها الله لهم آية وعبرة ثم بعد خروجها التأم الصدع كأنه لزق أو لحم يحد يد وقطران أو صلب بمسلى ويبدو الشق وهو ملحوم كأنه صنع يد فنية جبارة ماهرة وهو طبيعى كسائر الطبيعيات وقدرة الله صالحة فى كل وقت ومكان وما ذلك على الله بعزيز .

الصخور المنقوشة

هذه تجدها فى كل مكان من ديار ثمود ، بعضها داخل المغارات الكبيرة ذات الشبايبك المتعددة . بحيث تستطيع التقاط صور لها فى النهار ، وبعضها ملقى فى سفوح معظم الأثالث والنصفية وبعضها فى السهول والأودية .

وعلى ما يظهر أن القوم كانوا يجعلونها متكأ لقاء المساند والمخدرات التى نستعملها فى الوقت الحاضر ، ونقشها بحسب قيمة صاحب المغارة ومكانته بين القوم فبعضها يلفت النظر ويعجبك حفرها ونقشها كأنها تحفة وزينة وبعضها نقشها بسيط ، لكن لا يوجد عليها أى تمثال أو كتابة نبطية أو غيرها من الكتابة الثمودية بل هى مجرد نقوش فنية رائعة جذابة .

نوافذ الجبال

كل جبل من الأثالث والأناصف المنحوت منها وغير المنحوت والشاهق منها وغير الشاهق ، منحوت وله مداخل من السفح وله شبابيك في وسطه وفي قمته وبعضها جميل وعال وبعضها رديء وواطىء تحتاج الى انحناء عند ولوجه ومما تلفت النظر مدخل مغارة السلطان بآخر الحجر وفي أول (الكاتبه) .

وهو أحسن مدخل لجبل من جبال السلطان كأنه رسم يد بالة هندسية ومع ذلك فهو نحت وتفرغ وارتفاع هذا المدخل ١٤٠ سنتيمتر وإذا ولجت الى داخل المغارة تجد هناك ما يسرك من نقوش وحفر في صلب الجبل وجدده وتجد عدة مصاعد منحوتة من نفس الجبل أربعة منها في أول المدخل من دهليز الجبل ، بعدها نفث فسيح ثم سلم آخر من الصخر ومصاعده تربو على العشرة ثم يقابلك مجلس فسيح ١٠ في ٨ أذرع تقريباً وبه عدة نوافذ ثم مصعد من خارج النفث يوصلك الى القمة فسبحان من ألهمهم هذا النحت الجميل .

الشعاب

أما الشعاب بمداثن صالح فهي تربو على ألف شعب معظمها في مدينة الحجر ومن أحسنها ، منظر شعب بين جبلين شامخين على بعد مرحلتين من الحجر وتحت سفح أحد الجبلين بئر عليها صور من الصخور العظيمة وهي مظلورة مهجورة من الآبار المنوعة التي حرمها الرسول صلى الله عليه وسلم وحظر من شرب مائها ، ولا أحد من البدو يعلم عنها شيئاً الا أن بعضهم يزعم أن فيها عظام موتى من العهد القديم والوصول اليها من الصعب

حيث المسالك كلها وعرة وأرضها محزونة صلبة وحجارة الأرض التي فيها هذا الشعب محددة ربما تشقق أخفاف بعض الابل وهذا الشعب المذكور من أفسح شعاب مدائن صالح الا أنه غليظ شديد وبقية الشعاب بسيطة كغيرها من شعاب البلاد العربية .

الأودية

أما أودية ديار ثمود فكثيرة ومن أشهرها وادى (خنزيرة) ووادى ضرس بكسر الضاد وهو من تسمية البدو . وجاء في الشعر العربى بصيغة الجمع ، ثم وادى كهيان بكسر الكاف من تسمية البدو أيضاً ثم وادى قرح بفتح القاف والراء بعدها جاء وهو متصل بالعلا (وادى القرى) ووادى (الحجر) بكسر الحاء وسكون الجيم بعدها راء وهو يتوسط مدينة الحجر المذكورة فى القرآن الكريم والتي هى عاصمة ديار ثمود ومقر زعمائهم ثم وادى برم بضم الباء وسكون الراء وهو أوسع واد اذ يستد من حدود الشام حتى خيبر وجزء منه تابع لثمود قد غارت عيونه وجفت أشجاره ، ثم وادى القرى وهو الوادى المشترك بين العلا ومدائن صالح وكان يسكن بهذا الوادى قبيلة من اليهود تسكن فى البيوت الشعر كان قد منعهم يهود العلا من دخول البلد خوفاً من مزاحمة أسراهم - ثم وادى عرنان بكسر العين وسكون الراء وهو ملاصق للعلا أيضاً كما أن هذا الاسم يطلق على يوم من أيام العرب فليلاحظ ، ووادى عرنان هذا كثير الرمل تغوص فيه أخفاف الابل ووادى (المعظم) ووادى (السبخة) .

ويقطع السائح هذه الأودية فى أيام كثيرة على الابل من حدود الشمال شمالا وذات الحاج شرقاً حتى (وادى القرى) فى الجنوب

الشرقى لدائن صالح مما يلى العلا وقد تمر على أربعة وأربعين محطة من محطات السكة الحديدية الحجازية الشامية حتى تقطع هذه الأودية التى من أشهرها وادى السبخة وهو واد أبيض كما تسميه البدو وترى أرضه مملوحة والملح برز ناتئ على سطح أرضه وشكله مخيف ومنظره مرعب اذ تغوس الأقدام فيه حين التجوال فى أرضه تارة الى نصف الساق وسرة الى الكعبين ولا يغاص فى جميع أرجائه خوفاً من الفرق والجلجل فى جوفه حتى أن الابل تتجنب ثبجه ولا تمشى الا فى أطرف سفح أحد الجبلين المحيطين به وسيرها فيه كما يمشى الوجى الوحل وهذا من الأراضى التى مسها العذاب والعياذ بالله - ويقول البدو الرحل ورفاقنا من تجار الابل أن بهذا الوادى ٢٠ بيناً غائرة فى الأرض ولعله هو الوادى المشار اليه فى الاثر والذى يهبط المسيح الدجال فى أحد أرجائه وييث دعاته الى المدينة والشام - وهذا الوادى لا ينبت فيه زرع ولا كلاً ولا تمشى فيه الماشية الا عبوراً من أطرافه ولم نكث فيه بل التقطنا المنظر ونحن على ظهور الابل ، وهناك ظاهرة غريبة بهذا الوادى والجبال المحيطة به اذ تكثر الطيور الجارحة مثل النسور والهدء والغربان ولعل ذلك راجع الى غطوس الماشية أو من يلج فى وسطه فيهلك فتأكله الطير . ثم هناك أودية قد مر ذكرها فى صلب هذا الكتيب لا حاجة لاعادة ذكرها لأنها ليست من الأودية المشهورة ويكفيها ذكر اسمها كمستند تاريخى فقط .

المحطات المسكونة

واقصد بالمحطات القرى أو الضواحي التى فيها شيء من

الزروع والنخيل والماء ويسكنها نفر من الناس وهذه قليلة ونادرة جداً ، ولا يوجد في هذه المحطات التي تربو على الخمسين من الشام الى الحجر أو من الحجر الى الشام الا بعض الأماكن التي تعد على الأصابع فمن جهة السعودية ليس لك أن تمتاز الا من (وادي القرى) التي هي العلا وضواحيها اذا بدأت رحلتك من الأرض السعودية لدائن صالح ، ومن البوير بحدود الأردن بعد معان بيضعة مراحل شرق ذات الحاج اذا بدأت رحلتك من الأردن وهذه ضاحية من ضواحي (البوير) شرق معان على مرحلتين منها وفيها محطة سكة حديد مقلعة القضببان وعدة أكواخ مبنية باللبن وبئر مأوها آسن بعض الشيء و ٣٦ نخلة وشجرة نبق وأثلاث وعلى البناية العثمانية شبه فارس واقف كالتمثال وجو هذه المحطة نقي لكن لمن كان معه ماء وزاد ويأخذ شيئاً من هذه الضاحية ولقد مكثنا فيها ليلة كاملة وطرفاً من النهار ثم غادرناها الى المعظم .

الزروع المحروقة

وهذه تبدأ من وادي السبخة حتى الحجر أى قبله بمرحلة على الابل ومعظمها خاوية على عروشها ، محروقة جذوعها ملتهب رءوسها ، وتجد ثلاث محطات من محطات السكك الحديدية بديار ثمود مما يلي الشام فيها بعض النخيل وليس فيه ثمر ، كما تجد بجانبه بعض الحفر المظمورة ولا يعلم أحد عما في باطنها أماء أم رمم نسأل الله العافية ، ويقول أهل القافلة والذين هم معنا في هذه الرحلة : ان هذه كانت من النخيل التي كان طلوعها هضيماً كما جاء في القرآن الكريم في خطاب قوم صالح عليه السلام

من قوله تعالى (أتتركون فيما هاهنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) يقولون انهم سمعوا من آبائهم وأجدادهم بالتوارث أن هذه النخيل وهذه العيون الغائرة والأرض السبخة : والآبار المظورة هى التى كانت لقوم ثمود وجاءها العذاب والعياذ بالله ، ويرى السائح بعد كل ثلاث مراحل أو أربع قطعة من هذه الأرض المعذبة من حدود المعظم حتى يلج الحجر عاصمة قوم ثمود نسأل الله أن يجيرنا من عذابه .

القبور

بعد مرحلتين من وادى (هدية) قبل مداخل الحجر بعدة محطات حديدية تجد أكواماً من الردم على شكل هضاب أو أقواز متحجرة من الرمل يقول البدو الرحل انها قبور قديمة مهجورة تكدست عليها الرمال حتى صارت كالهضاب ، ولا يعلم أحد عن تاريخها هل هى من العهد الثمودى أم من العهد الجاهلى ، أو من العصور الوسطى وقد سافرت الى الخرج (١) خصيصاً لهذا الغرض فى عام ١٣٦١ هـ وقابلت معالى الوزير المرحوم عبد الله السليمان وزير مالية المملكة العربية السعودية آنذاك ونزلت عنده ضيفاً وكان مقيماً فى الخرج يحفر عيونها ويغرس نخيلها حيث جلب

(١) الخرج بفتح الخاء وسكون الراء - بلدة زراعية ذات عيون وآبار وأرضها خصبة ومناخها جميل وهى على بعد ستين ميلاً من الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية وأشهر عيونها السمحة وأم العبيد وفيها النخل الكثير والفواكه والخضروات وقد تحضرت الآن وأصبح فيها مدارس وأسواق تجارية ومصانع وغير ذلك .

اليها المزارعين من العراق والشام وشرع فى حفر آبار ارتوازية وخطط مدينة الخرج تخطيطاً فنياً فى عهد المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود وجلست فى ضيافته ثلاثة أيام ومهمتى سياحية ليس الا ، وقد ساعدنى فى مهمتى حيث كان يخصص بعض العربيات (الماركينى والكاديلاك) من أول النهار وأخذ ما يكفينى من زاد وماء ورفاق وكان بالصدفة نزيله فى ذلك الوقت المستر فلبى - فشرحت له فى احدى ليالى السمر مع السائح المذكور وجوب البحث عن هذه القبور ونبشها لاجرا ما فيها من كنوز ان كان هناك شىء من الكنوز أو الذهب المدفون وأقصد بذلك هذه القبور المردومة ومقارنات قوم ثمود ، فقال لى : ان الأخ عبد الله فلبى يطلب نفس الشىء فهناك قبور تبعد عن الخرج بحوالى ٢٠ ميلا محولة عن القبلة ويظهر أنها من 'لعها' الماهلى والأخ فلبى مستعد لدفع مبلغ كبير من المال لقاء أخذه امتياز حفر هذه القبور ، وقد عرضت الموضوع على جلالة الملك عبد العزيز فعرضه على المشايخ فامتنعوا وأفتوا بعدم جواز نبش القبور فاستغرب جداً ورجعت أنا وزميلي الكشف بخفي حنين وكنت آنذاك أواصل التجوال وأتمنى أن تتاح لى فرصة التصريح بالحفر والتنقيب لأنى كنت فى شرح الشباب .

المداخل

حينما تدخل مدائن صالح ترى كأنك مقبل على كتلة جبلية واحدة متراصة بعضها متشابك فى بعض وهذه الكتلة هى سلسلة جبال الأثالث ، ثم كتلة سلسلة جبال الأناصف والفرق بين هذه الكتلة وتلك الكتلة هو بعض انخفاض بسيط فى قممها بحيث

ترى أن منظر الأثالث أقل في الارتفاع من الجبال النصفية ،
لكن إذا ولجت داخل مدينة الحجر وجدت تنسك بين جبال متقطعة ،
كل جبل على حدته ، ويفصل بين كل جبل وآخر شارع مستقيم الا
أن الرمال المتكاثفة تغطي الشارع كله تقريباً في بعض الأماكن .
وتارة ترى بين كل ثلاثة جبال أو أربعة شارع ، وتارة بين كل
عشرة أو عشرين الى حد الخمسين ، والشوارع كلها منظمة
وفسيحة كأنها قد خططت في العصر الحاضر ، ثم ترى الجبال
منفصلة عن بعضها انفصالاً فنياً بحيث لا ترى النواتج ولا
القرادد أو الحشارج بل كلها بيوت جميلة نظيفة على الطراز
الحديث ، ولا ترى النقوش على وجه الجبال الا في داخلها أو على
قممها أو ما كان معداً للزينة والتحف كما سيأتى ، ثم ترى
مداخل البلاد من طريق (العلا) كأنك داخل على جبال مقوسة
أو شوارع منظمة كما يسمى في الوقت الحاضر بأقواس النصر
فترى الجبال التي على حافة مداخل البلد مشطورة نهائياً كأنها
قسمت بسيف حاد حتى لا يزدحم الناس في الدخول ، كما أن
مداخل شارع مجالس السلطان مرتفعة ومنحوتة نحتاً رائعاً كما
مر ، وهذا المدخل الرئيسى المؤدى لمجالس السلطان أعظم روعة
من المداخل السابقة ، وهذا المدخل العام لديوان الملوك أو
السلطان في مدائن صالح ما زال قائماً بين منطقتي طريف والعلا
(وادى القرى) ثم ترى بين كل ثلاثين أو أربعين جبلاً (جبلاً)
أنيقاً منحوتاً نحتاً فنياً رائعاً ومنقوشاً بنقوش جميلة ومكتوباً
على قمته بعض الحروف النبطية والعربية التي اندثرت معهم
وكانت لغتهم كلفتنا لكن بعض الكلمات لا يوافق معناها المطلوب
في لغتنا فمثلاً أيام الأسبوع يقولون لأول يوم منه وهو السبت

(شيار) ولا ينطقون بكلمة السبت ويوم الأحد (أول) بفتح الواو المشدودة ويوم الاثنين (أهون) على صيغة أفعل التفضيل ويوم الثلاثاء (دبار) بفتح الدال ويوم الأربعاء (خبار) بفتح اوله والخميس (مؤنس) بكسر النون ، والجمعة (العروبة) وهكذا أسماء الشهور والفصول وغير ذلك من الأسماء التي تغيرت فيما بعد حينما انبلج لسان اسماعيل بالفصحى .

النوافذ والأبواب

هل كانت أبوابهم ونوافذهم من الحديد والخشب أم من الحجارة والصخور ؟ وهذا ما حيرنى وأدهشنى اذ لم أجد أثراً لقطعة من الخشب أو الحديد على أبوابهم ونوافذهم أو شبابيكهم ، وعلى ما يظهر أنهم كانوا اذا نحتوا باباً أو نافذة وأرادوا غلقها - نحتوا لها قطعة من الصخر على مقاس الفتحة التى يفتحونها اما بيوتهم التى كانوا يبنونها فى السهول فلا تخلوا من خشب لكن الصاعقة أو الرجفة قد جلجلتها فى جوف الأرض فلا ترى لها من باقية .

الغابات

ومن أشهر الغابات بديار ثمود غابة (البطيح) بصيغة التصغير ، وهى الغابة التى على مقربة من جبل الناقة بقرية (الكاتبة) التى هى من ضواحي الحجر وغابة (المزحم) وهو ممر الناقة على مرحلة ونصف من الحجر ثم الغابة (البيضاء) وهى تبدأ من حدود فلسطين حتى المدينة وجزء كبير منها يتوسط مدائن صالح الا أن هذا القسم بور تعلوه سبخة عظيمة وهو

مالح الماء محروق العشب والعياذ بالله ، ثم غابة (الملح) وتقع في شرق (هدية) التي مر ذكرها وهذا من تسمية البدو . وأما ما جاء في الشعر فهو (صفرات الملح) وقد قال الشاعر :

الى صفرات الملح ليس بجوها أنيس ولا ممن يحل به ذكر

ولعله يقصد بصفرات الملح غابة الملح الموجودة في مدائن صالح والله أعلم .

النقوش والكتابة

هناك نقوش وكتابة بحروف نبطية أو عربية ثمودية من الطراز الأول يفتحها من درس الكتابة القديمة ، وأحلى ما في المدائن ، النقوش التي على الصغار والتي في وسط أحد الجبال النصفية كما أنه توجد كتابات ثمودية متنوعة وأكثر ما تجد هذه الكتابة في الأثالث وبعض الجبال النصفية .

الأبجدية الثمودية :

والأبجدية الثمودية — كما قرر الثقات من الباحثين — هي نفس الأبجدية العربية القديمة « المسند » مع نقص حرف واحد هو « الظاء » ، ومع اختلاف في رسم الحروف فبعضها يكتب مقلوباً ، والبعض الآخر معكوساً ، وهي لم تحظ بما حظيت به السبئية والمعينية وغيرهما من الدقة في الوضع والاتبان في الرسم . ونقوشها قصيرة لا تتعدى السطر أو السطرين ، وليس لها أسلوب مطرد ، فقد تبدأ كتابة النقش من أعلى الحجر ، وقد

تبدأ من أسفلها وتارة من اليمين وأخرى من الشمال (١) . وخط
ثمود خال من الشكل والتشديد والاشباع .

ومن أجل هذا اعتبر بعض الأساتذة الخط الثمودى خط
البادية أكثر منه خط المدن والمناطق المتحضرة ، وأطلق على
الكتابة الثمودية كلمة « خربشات » وخلص الى القول : « ان
قبيلة ثمود لم تكون مملكة بالمفهوم الحضاري » (٢) .

غير أننا لا نوافق على هذه النتيجة ، فربط الحضارة بتنميق
الخط ، والبداوة « بخربشته » فى موضوع ثمود بالذات أمر ينقضه
القرآن وتكذيبه شواخص الآثار . فقد ذكر القرآن حضارتهم
المعمارية وحضارتهم الزراعية ، وجاءت آثارهم شواهد ناطقة
بصدق ما ذكر القرآن مما فصلناه فى ثنايا هذا الكتاب .

وتعتبر « الثمودية التيماوية » هي الأبجدية الأم التي
فرعت عنها : الثمودية الحجازية ، والثمودية النجدية ، والثمودية
التبوكية . (انظر مرسمات هذه الكتابات وقراءتها) وكلها
تنتمى الى خط المسند الذى انبثق منه فى الشمال الخط الديدانى
واللحيانى والثمودى والصفوى ..

لكن الخط العربى الذى نكتب به اليوم يعتبر تطوراً من
الخط النبطى ، لا الخط المسند - وان كان الباحث الأستاذ أحمد
ابن الدين قد لاحظ اثر تأمله لنقش « عائذ بن كهيل » الذى

(١) « اللغة العربية » فى عصور ما قبل الاسلام ، أحمد حسين شرف الدين

ص ٦٤ .

(٢) « معاضرات فى التاريخ والآثار » ص ٨٩ محاضرة الدكتور عبد الرحمن

الانصارى .

يعود الى السنة الأولى ق.م والمكتشف بمدائن صالح - هو نقش
نبطى - أن حروف هذا النقش هى حروف المسند الا أربعة منها
فقط تأثرت بالآرامية هى الثاء والسين والعين والياء . ومعنى
هذا ان خط المسند فى فترة ما قد أثر تأثيراً واضحاً فى الخط
النبطى ... ومهما يكن من شىء فلا ضير أن نقتبس خطنا من
النبط فهم أيضاً عرب من سروات الحجاز . خطهم يرجع فى أصله
الى الخط الفينيقي - أصل الخط العالمى - والفينيقيون كذلك
عرب من نجد والبحرين . ولذا يصح القول بأن أعظم اختراع
بشرى على الاطلاق وهو اختراع الأبجدة يرجع الفضل فيه
للعرب !!

اللغوية الثمودية : كان ذلك من ناحية الكتابة والرسم ، أما
من ناحية اللغة ، فالثمودية عربية شمالية تشوبها بقايا من لغة
الجنوب ..

واذا صح ما ذكره مؤرخو العرب من أسماء أيام الأسبوع
وشهور السنة لدى ثمود ، فان تلك الأسماء تمت بصلة وثيقة
لعربيتنا اما بصيغتها أو باشتقاقها أو دها الى معان معروفة
فى المعجم العربى .

فأيام الأسبوع ابتداء من الأول (الأحد) ف أهون ودبار
وخبار ومؤنس والعروبة وشيار (السبت) يمكن فهمها بسهولة
فالأول معروف والباقية من هان ودبر وخبر وآنس وعرب ..
وأما شيار فمن شاريشور : اجتنى العسل ، والشيار هو اجتناء
العسل واستخراجه ..

وأما أسماء شهورهم - التى يبدءونها بذيمر وهو رمضان -
فهى ابتداء من المحرم حسب شهورنا القمية :

موجب (المحرم) وموَجِر ومورد وملزَم ومصنَدِر من أوجب
وأوَجِر وأورد وألزم وأصْدِر .. وأوَجِره الدواء وضعه في
لمه (وهوبل ، وموها وذيمر) وعليها المسحة الجنوبية (ودابر
وحِقل ومسيل (من دبر الكتاب اكتبه وسال أو أسال ومن حقل
على زنة فيعل أو هي « على الطابع الجنوبي » كما يرجح الأستاذ
هبد القدوس الأنصارى .

وهكذا فأسماء الأيام والشهور الثمودية تغلب عليها سمات
العربية الشمالية ...

وإذا نظرنا إلى أسماء معبوداتهم وجدنا الانتماء نفسه ..
فالمعبودات الثمودية : كما ذكرها الدكتور جواد على - هي :
رضا وصلم وود وجدهدد وشمس ونعرجد ، ومناة ونهى وإيل
واملات وعترسم وعترسميل وكاهل ، وملك ومالك وعزير .
فليس ثمت تشاز في أسماء هذه الأصنام عن عربيتنا إلا في
أمثال نعرجد وعترسم ، وعترسميل .

ويلاحظ أن ملك ومالك وعزير من أسماء الله تعالى حيث
كان يُعبد ولا معبود سواه فلما أشركوا سمّوا أصنامهم بها .
وإذا انتقلنا إلى أسماء الأشخاص الثموديين ألفيناها غالباً
أسماء عربية بأوزانها ومعانيها . وكثيراً ما تشاهد نقوشاً على
شواهد القبور ، أو أعلاماً محفورة في الصخور ، تضم أسماء
على صيغة فعّال كصبّار وحبّار وغيّار وهجّار أو على أوزان
عربية أخرى كناصر ونمر وعفيف ومرة وكميلة وأوس وأسعد
واياس .

كل ذلك يدل بوضوح على أن ثمود كانت تلهج لهجة عربية
شمالية لا تفترق كثيراً عن عربية الجاهلية وعربية الاسلام بل

ولا عن العربية التي نتحدث بها اليوم ، فكثير من تلك الكلمات ما زلنا نستعمله في لغة الحديث والكتابة ..

المحافظة على الآثار

كل بلاد تحافظ على آثارها حتى قوم صالح عليه السلام . والآثار المنقوشة بجبال السلطان بمداين صالح ثمودية أو نبطية نقلنا لك بعضها بالألوان .

انك لا تجد هذه النقوش الأثرية الجميلة الا في بعض الجبال المميزة عن غيرها من الجبال المنحوتة فهي اما أن تكون لسكنى الزعماء من ثمود أو من الآثار التي من قبل ثمود وورثتها ثمود وقلدت شكلها في بقية الجبال أو ممن احتل المنطقة كالأنباط كما تحتفظ كل بلدة بآثارها وما ورثته من تراث أجدادها من أثاث ومتاع وغير ذلك .

من بقى من قوم ثمود

هل من ذريتهم من هو باق الى الآن أم أن الله أهلك جميع قبائل ثمود الذين كانوا على وجه الأرض في مشارقها ومغاربها وهم عدد كثير وكانوا يسيطرون على جميع البلاد العربية ؟ الجواب على هذا من نفس القرآن اذ يفسر بعضه بعضاً ولا نحتاج الى كلام المفسرين ؛ يقول تعالى (وثمود فما أبقي وقوم نوح من قبل) يعنى اذا أخذنا بتفسير من زعم الابداء معناه وقوم نوح أبديناهم كما أبدينا قوم ثمود ، مع أنه قال جل شأنه (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) الخ الآية . والذين نجوا مع نوح

عليه السلام عدد قليل من أولاده ومن المؤمنين الذين لم يملأوا سفينة شراعية مع كل من دب على وجه الأرض ، هذا العالم كله من بقايا هذه السفينة فكيف يقوم ثمود وقد قال الله فيمن آمن منهم (ونجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال فيهم : (فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا) ؟ ولم يكونوا للة كما قال في قوم نوح وما آمن معه الا قليل وهؤلاء قد انحازوا مع صالح وأهل صالح قبل العذاب بأيام معدودة الى السهول والمساجد وليست السهول والمساجد ببعيد عن الحجر الا بمراحل معدودة وقد نجاهم الله من الرجفة والصيحة لأنها كانت فاصرة على الحجر ومن حوله من الكفار والمعاندين ، أما الذين كانوا من المؤمنين من قوم صالح في الروم أو في البحرين أو في فارس أو حتى في جنوب الحجاز بالنسبة لموقع بلادهم فقد نجاهم الله أيضاً .

وهذا الجاحظ اللغوى الأديب يقول : لا أدري كيف زعم البعض بالابادة العامة في المشارق والمغارب وهذه (ما) لا تدل على النفي القاطع ولو فسرت على جميع اللهجات والمعانى ولا الول الا (معظمهم) يعنى معظم الكفار ولا يستفاد من الآية الابادة النهائية . انتهى كلام الجاحظ وهذا من جهة اللغة التفسير ما وما تدل عليه من المعانى - أما معظم المفسرين المؤرخين فقد أجمعوا على أن ذريتهم المنتشرة في أنحاء العالم زالت باقية ولم تهلك ولم يهلك الا من كان بالحجر وما ماورها حتى أن العلا التي هي أقرب بلد الى مدائن صالح لم يصبها العذاب .

القبائل

القبائل التي تنزل على أرض ثمود حالياً ، والذين يراعون مواشيهم حول مدائن صالح وربما ينصبون خيامهم حول الحجر ووادى المعظم وهدية الى تبوك ، معظمهم من قبائل الشمال الذين هم من جهينة ومن بلى وبنى عطية وعنزة وسليم وغيرهم من البدو الرحل من معظم القبائل العربية ، لكن الأغلبية لمن ذكرت أسماءهم ، وهؤلاء لهم عادات وتقاليد وأهازيج جميلة ينشدونها أمام ضيوفهم كما يكرمون كل من يحل ضيفاً وينزل على أخبيتهم .



الزَّحَلَةُ

كيف كانت رحلتي ؟

انها من الطرائف العجيبة والنوادر الغريبة ولولا ذلك لما تمت الرحلة ، ومع ذلك ومع ما نلته من حظ وتوفيق فى هذه الرحلة فقد ضحيت بالشئ الكثير ومن ذلك مثلاً ؛ أنى أضعت عمداً وبالجبر والغصب جواز سفرى الذى كان يحمل شهادة دخولى الى أستراليا والفلبين ومنادو ، وأمبون ، وطرونة ، وغير ذلك من الجزر وأشباهها وذلك انى رجعت الى جدة من هذه الرحلة الطويلة ومعى تحف أثرية جلبتها معى من الصين وأستراليا وجعلتها بمخازن جمرك جدة باسم الترنزيت ، لأحملها الى مصر لبيعها هناك فى ذلك الوقت الذى كانت تباع فيه الآثار والتحف الصينية القديمة بأسعار خيالية ومكثت بجدة أياماً معدودة وسافرت منها الى مصر على ظهر احدى البواخر الحديدية الى السويس ومعى بضاعتى الأثرية ، وصادف الحظ بوصولها سالمة وبيعها بأثمان باهظة ثم سفرى على الباخرة الايطالية من ميناء الاسكندرية الى حيفا ثم يافا (١) ثم بيروت ثم دمشق ونزولى بفندق الأردن وفلسطين وبه كانت المفاجأة .

كان الشيخ عبد الله بن غريض نازلاً بهذا الفندق ، كما ان كثيراً من العرب المعقلين واللابسى العباة الصحراوية كانوا نازلين بهذا الفندق وكنت أجمع ببعضهم فى بهو الفندق حينما نحتسى

الشاي أو نتناول العشاء أحياناً وأكثر من اجتمعت به هو ابن غريص حيث كان كل منا يستأنس بالآخر ويسأل عنه .

سمعت يوماً من الأيام بعض النزلاء بهذا الفندق يتحاسب مع ابن غريص حساباً حامياً حاداً ، ثم حضر آخر على صوت المجادلة التجارية وحضرت فسمعت وأنا جالس بالبهو أحتسى القهوة واللبن أصيل يوم من أيام الشتاء - ابن غريص يقول لصاحبه (تزكن) يوم كنا بنخاء فلان بمدائن صالح وأعطيتك كذا من حساب الأبرة الثلاثة وأبقيت لك كذا ويوم نطحتك عند فلان بحاج (ويقصد بحاج ذات الحاج) يقول له أعطيتك كذا وكان المتبقى لك كذا أعطيتك اياه فى تبوك الخ ما سمعت من حديث شهى ، ثم لم أنم تلك الليلة اذ اختمرت فى ذاكرتى ومخيلتى كلمة (مدائن صالح) وجعلت أفكر فى كيفية الوصول الى هذه المدائن وهى أبعد من بيض الرخم والعقاب ، وأنى لى بالوصول الى هذه الأمكنة ودونها قلل الجبال ودونهاا المحتوف والموت المحقق خاصة وأن الطريق من جهة الشام لم يكن معبداً مطلقاً ومن جهة السعودية نفس الشيء ؟ وما صدقت أن طلع الفجر ، حتى بادرت الى البهو ، منتظراً ابن غريص لأطلععه على ما جال فى خاطرى وعما فكرت فيه من سياحة والقيام برحلة صحراوية الى هذه الديار التى طالما كنت أحلم بها وأتمنى الوصول اليها بأى ثمن كان لأرى شيئاً من عجائب الدنيا أو على

(١) كان ذلك قبل الاحتلال الاسرائيلى .

الأقل ما يضارع كهوف الأحقاف التى جبت صحاريها ، وأهرام مصر وغيرها من تحف الدنيا التى وقفت عليها ، خرج ابن غريص من حجرته وجاء الى البهو وطلب القهوة ولم يدر بى الا وأنا بجانبه ، حييته وسلمت عليه وبدأت أسأل صاحبى عن الطريقة التى توصلنى الى مدائن صالح والحجر وعن المدن المجاورة لهذه المدائن وعن أقرب بلد لها من السعودية أو من الشام ، فقال الرجل : حلمك ان شاء الله سيتحقق لأنى سأكون بعد شهرين أو أكثر بقليل بالمدينة ان شاء الله وأنا ساكن فى تبوك ، وسأقوم من تبوك بماشية وابل أنا وبعض أصحاب لى من تجار المواشى وسيكون قيامنا من تبوك قبل الحج بشهرين حتى ندرك الموسم ونبيع أغنامنا على تجار الماشية بالحجاز وهو أحسن موسم لنا موسم الحجاج وعيد الأضحى وأنا نكتفى ببيع مواشىنا بالمدينة ثم نرجع الى ديارنا بالشمال ثم أعطانى عنوانه بتبوك ، ثم سأله كيف الوصول الى تبوك من هنا أى من دمشق ، قال : يكون سفرك بالسيارات الى حوران - درعا - المفرق - عمان - معان - ذات الحاج - تبوك - حفظت ما قاله وسجلته بمفكرتى ومضت أيام وسافر الرجل وصحبه وتجولت فى أرض الشام وشمالها وغربها شرقها وجنوبها ، ورجعت الى دمشق فى فندقى الأول ومكثت به يوماً واحداً لأتخلص من زوائد الأمتعة والرحال وعقدت العزم على السفر الى مدائن صالح على ضوء ما وصفه لى ابن غريص ، ركبت عربية صغيرة (فورد) مع بعض المسافرين الى (درعا) ثم تجولت فى حوران ما شاء لى أن أتجول ثم استأجرت عربية أخرى الى (المفرق) والمفرق هو الحد الفاصل

بين الشام والأردن ولكنه تابع للحكومة الأردنية الهاشمية وكانت آنذاك إمارة والأمير عليها عبد الله بن الحسين أمير إمارة الأردن الخاضعة للتنفيذ البريطاني آنذاك ، وليس بالفرق إلا مركز صغير يضم رهطاً من العسكر الأردني وبعض المخيمات الصغيرة المنتشرة في أرجاء الفرق ، وقفت السيارة الصغيرة أمام المركز ونزل الركاب الأربعة وخامس خمستهم السائح الحائر المندهب كاتب هذه الرحلة - لم أدر بنفسى إلا وأنا واقف مع المسافرين أمام ضابط المرور الأردني يسألهم عن جوازات سفرهم وكأني لأوا مرة أسمع هذه الكلمة ..

لم تطرق مخيلتي أو ذاكرتي مسألة الجواز مع فرحتي ببلوغي طريق الرحلة الى مدائن صالح كأني راحل الى القمر أو الزهرة ، ما خطر ببالي موضوع الجواز مطلقاً ولم يمر على ذاكرتي ونسيته نسياً عجيباً وما أنسانيه إلا الشيطان لأمر لا يعلمه إلا الله ، مع أنى سافرت ورحلت قبل هذه الرحلة عشرات المرات وأعلم أن كل دولة لها تأشيرة خاصة على الجواز ومعاملة خاصة واذن من الحكومة واجراءات قانونية ودولية ولكن مع من أسكره الخيال ولج به في سلطان الهوى أو في تلك الضيافة والمفاوز أو مع من فكر أنه سيحقق أحلاماً بعيدة وآمالاً عزيزة . ان الجواز مع كمية من النقد الأجنبي في محفظتي الجلدية وهـ من جملة المظروفات التي تحويها المحفظة الجلدية الكبيرة التي بها مجموعة من الثياب والأشياء الضرورية .

قلت لأخيना الضابط : هذا جوازي ، أخذه وقلب أوراقه ثم نظر الي شزراً وقال : ماشاء الله أنت سحت العالم وكيف ضاعت عليك هذه المسألة ؟ قلت : ماهي يا حضرة الضابط ؟ قال : أين التصريح لك بدخول الأردن ؟ ثم أين التأشيرة ؟ ثم أين كتابة الأردن في الجواز ؟ عرضت أمري على الضابط وما أصابني من نسيان ودهشة حينما بلغت رأس الطريق الى مدائن صالح واقسمت للضابط أن مجيئي الى هنا كان على سبيل الصدفة وعزمت على هذه الرحلة كان أمراً مبيتاً بليل ، لهذا لم أعر الموضوع أى اهتمام ولم أفكر فيه مطلقاً ولم أشعر بنفسى الا وأنا أمامك فأتوسل اليك ألا تحرمنى من هذه الرحلة بعد ما وصلت الى أول الطريق .

فقال : مع الأسف وقعت في الفخ وما اخالك الا متجسساً ووجب إيقافك هنا حتى يأتى أمر من سيدنا وسيد الجميع الأمير عبد الله ابن الحسين باطلاق سراحك أو رجوعك الى الشام أو دخولك الى الأردن ، ثم أطلق بقية الركاب وبقيت وحدى فى تلك الغرفة الصغيرة التى لا تضم الا ثلاثة أو أربعة من الشرطيين .

أسلمت أمري الى الله وجعلت أفكر طويلا فى كيفية المخرج من هذا المأزق الحرج وقلت فى نفسى ليتنى لم أفكر فى مدائن صالح وأنا مالى وما لمدائن صالح من بغية وما عسانى أن أبلغه بالوصول إليها ، ثم قلت لمدير المركز أنقذنى أنقذك الله ، أعاهدك أن أرجع أمامك وان شئت فابعثنى فى العربيات التى تنقل المسافرين الى الشام من قبل الجهات المختصة لتعلم صدقى أنى غير معمد وليس لى أى هدف سوى التجول والبلوغ الى مدائن صالح من طريق الأردن فاجعلنى (ترانزيت ان شئت) وبلغ عنى المراكز

فقال : لا سبيل وقد رفعنا برقية لاسلكية للحاكم في عمان بشأنك
وكان لسوء الحظ هناك سوء تفاهم بين المملكة السعودية والأردن
في ذلك الوقت بالذات .

أمضيت النهار على أحر من الجمر وخاصة بعدما ذهبت
محاولاتي هباء منثوراً ونفدت حيلتي ولم يعد أمامي الا التسليم
بالواقع .

قلت للضابط : ياعم أنا رجل تاجر وسائح ولا صلة لي
بالسياسة فأرجوك أن تخلصني ولو بدفع الغرامة أو الضمان
الذي تختاره والطريقة التي تخلصني بأى ثمن كان .

تغير الموقف بعض الشيء فحمدت الله جل ثناؤه ، طلبت من
الحرس شيئاً من الماء للوضوء والصلاة فأحضر لي الماء فى قدح
كبير شربت ما شربت منه وتوضأت بالباقي ثم صليت المغرب
وابتهلت الى الله أن يخلصني من المأزق .

ناداني الضابط بعد صلاة المغرب وقال : أظن أنك من أهل
الحجاز بالسعودية قلت : نعم ، قال : من أي بلد قلت : من مكة
المشرفة ، قال : أما تدري أن رئيس القضاة في عمان هو من مكة
واسمه الشيخ عبد الله سراج قلت : انى خالى الذهن عن رجل
الحكومة الأردنية قال ببساطة : الموضوع هين ، اهتف بالبرقية الى
رئيس القضاة وشرح له حالك لعله يعرف أحداً من أهلك أو
عشيرتك المعاصرة له فيتوسط فى حل موضوعك ، قلت : السمع
والطاعة وحررت البرقية بكامل التفاصيل ثم بعثنى مع أحد
العساكر الى مركز اللاسلكى فذهبت ودفعت البرقية للمأمور الخاص

لعد الكلمات . وقال : ادفع ثلاثة جنيهات . وكان الجنيه من عملة (البنكنوت) (١) يساوى جنيهاً ذهبياً .

دفعت بسخاء ولم أبال ثم أخذت الايصال وكأن باب الفرج قد انفتح في وجهي اذ انشرح القلب وبدأت أفكر في شيء أتعشى به لأسد ثغرة الجوع اذ الوقت كان في شدة الزمهرير وبخاصة الليل في ذلك الصقع حين ينشأ الصرد ولم أملك من الملابس ما يقينى ولا من المفروشات ما يغطينى فسألت الضابط : ياعم متى يأت جواب البرقية ؟ قال : ان شاء الله بعد يومين على الأقل أو أسبوع على الأكثر . قلت : لماذا ؟ قال لأن الاستفسارات بين الدولتين تأخذ وقتاً طويلاً لكن ما دمت من أهل الحجاز فسيحل عقدتك لقاضى القضاة تحت ضمانه ومسؤوليته اذا ضمن للدولة موضوعك وأمنت جانبك . قلت : كيف السبيل الى العشاء وأنا جائع ماعندى غير القليل من البسكويت والعيش المقدد قال : لا تخف تتعشى معنا ومن قصعتنا وأنت كالضيف حتى يصدر الجواب وان شاء الله نتوخي الخير فلا تخف ولا تفكر والسياح يمر بهم أكثر من هذا

(١) « البنك نوت » كلمة انكليزية معناها فلوس ورقية مطبوعة في مطابع خاصة لا يمكن لأي فرد أن يمارس طبع هذه النقود سوى الجهات المختصة أو بتصريح منها ويشترط في الدولة التي تستعمل هذه الأوراق المالية أن يكون لها رصيد من الذهب يغطى قيمة الأوراق المطبوعة كما يضمن هذه الأوراق البنك الدولي العام ، ولكل عملة ورقية أنظمة وقوانين بتكية معروفة لدى المؤسسات النقدية العالمية الخ . والكلمة انكليزية دخيلة على العربية وتستعملها العامة والخاصة وقد بدأ استعمالها في القرن التاسع عشر حينما تداولتها البلاد العربية استعمالاً ونطقاً وكتابة ، ولا يوجد ما يقابلها في الفصحى لأنها أجنبية حديثة وقد يمكن استعمال ما يقابلها من ترجمة ، بجملة « أوراق مالية » .

فيجب التحمل في سبيل الغاية . وكأنه يلقي علي وعظاً فحمدت الله تعالى وسكن بعض ما بي من الروع ، ثم جاء وقت العشاء وكنت على وضوء فصليت جماعة اذ اقتدى بي جمع من العسكر ما بين لا بس رسمي ومتجلبب وكأن عساكر الليل اذا اعتكرت تجمع بين الشرطيين الرسميين وبين البدو الذين هم في حكم العسكر الرسميين وكلهم يعملون تحت امرة المستر جلوب الحاكم العام لجميع قبائل الشمال الذين يسكنون الأردن من المفرق الى قبيل ذات الحاج أولى المراكز السعودية والبدو يدعونه (أبا حنيك) ويدعون زوجته (الأرنبة الحمراء) وفي كل مركز من مراكز الأردن وحدودها له لواء على الأقل يحرسون الحدود ويساعدون الشرطة الرسمية والعسكر النظامي اذا اقتضت الضرورة كما أنه محبوب لدى القبائل هناك كما سأقصه عليك فيما بعد .

حضرت القصاع وهي ثلاث واحدة مدت على خوان بداخل الحجرة النظامية واثنتان بالعرصة وكانت جميعها من ثريد البر ومكللة بلحم الأرناب : ثم نادى مناديهم هلموا بسم الله فتوكلت على الله وتعشيت مع القوم . ثم مسحوا بأيديهم على وجوههم وشعورهم المتدلية على أكتافهم ثم أحضروا القهوة والشاي وجعلوا يتجادبون الأحاديث السمرية ويحتسون القهوة والشاي واللبن الرائب أحياناً حتى مضى طرف من الليل ثم انصرفوا وبقيت وحدي في الغرفة - قلت في نفسي ماذا عسى أن يفعل بي الآن وقد ذهب القوم - : ما بين تفكيرى وتحيرى جاء أحد العسكر بلحاف متواضع ووسادة خشنة وقال ان جاءك النوم فقم ثم لا تنزعج ان فتح عليك الباب في أى لحظة من الليل لأن هذه نقطة بوليس وأحياناً يمر بها أكثر

من مسافر في الليلة وأحياناً لا شيء ، وعند الحاجة نحتاج الى فتح هذه الحجرة لاستكمال الاجراءات وملاحظة الجوازات وختمها فقلت : سمعاً وطاعة ، وقلت في نفسي لا مرحباً بالمسافر الذي يأتي بعد هذا الوقت .

حاولت أن أنام ولكن لا سبيل الى المنام ، حضرت الهواجس ولعبت بى الظنون وتقلبت الأفكار وتغلب اليأس وجثم الشيطان على صدرى ومنعنى من الرقاد ، فقلت فى نفسى لو تأخر الرد لا سمح الله أسبوعاً أو شهراً كيف أعمل وليس لى معقب فى عمان ولا أعرف أحداً يعرفنى سوى من أبرقت له وليس عندى اليقين الكافى فى اجابته لعدم معرفته بى أو معرفتى به .؟

وأنا كالسرحان بين النائم واليقظان ، ولما تقضى الليل الا اقله وكادت معظم نجومه تتغور ودنا الاصباح ، عركت عيني وقمت محوقلا وخرجت الى عرصة الحجرة فوجدت قدحاً من الماء عليه قطعة من الخشب شربت قليلا ثم توضأت وصليت ما قدر الله لى من نافلة حتى اذا ما لاح مفتوق من الصبح أشقر ، صليت الصبح وأنا كالثلج أتمايل من النعاس ، وما صدقت أن سلمت ثم دخلت وقفلت الحجرة ونمت متوكلا على الله وقد أسلمت نفسى وقلبى وأفكارى لله رب العالمين ، لم أعلم كم نمت أساعة أم أكثر ، واذا بطارق يطرق فانتبهت ثائراً فزعاً وفتحت للطارق وقلت فى نفسى اللهم انى أعوذ بك من أى طارق يطرق الا بخير، وكان خيراً اذ ناولنى برقية وقال : أبشر فقد جاءك الاذن بالتصريح لدخول عمان بضمان مولانا قاضى القضاة فأسرعت الى محطة النقود لأخرج جنيهاً أقدمه بشارة لهذا السامعى الطيب فأمسك بيدي وقال : والله لا آخذ شيئاً حتى ولا قرشاً واحداً وأنا مأمور

اللاسلكى جئتك بالبشارة هذه لأن الساعة لم يأت بعد وقت مجيئهم وأعرفك ولهان لأنه يمكن ألا يكون قد مر بك ظرف أخرج من هذا وانى استغربت من سرعة الرد فى خلال هذه المدة الوجيزة .

ان هذا بلا شك من الحظ والتوفيق ، قلت له : ماذا أفعل الآن ؟ قال : ارحل حالا ومن غير مطرود وان شئت فابق عندنا يوماً أو يومين لتجوب هذه الأمكنة وبعض الجبال ولوشئت أن تنتظر حتى يأتى الضابط وتأخذ برأيه يكون خيراً وأفضل . قلت له : هذا شيء محتوم فان جوازي عنده ولا أعرف أحداً أستأجر منه سيارة أو أى واسطة تنقلنى الى عمان ، ثم ذهب المأمور الطيب وبقيت منتظراً ..

لما أفصح النهار جاء الضابط متهللاً فقد مر باللاسلكى وسمع الخبر ثم جاء يبشرنى ولم يعلم بأنى قد بشرت وأنى فى غمرة من الفرح والجدل ، حيا وسلم وصافح وأمر بالقهوة ظناً منه أنى تناولت طعام الافطار .

المهم ، انى استشرته فى كيفية الرحيل ، فقال : ما الى هذا من سبيل ، حتى يأتى أمر مولانا باسلامك الجواز ، أما ضمائر مولانا قاضى القضاة فقاصر على حضورك فقط من غير جواز بل بتصريح خاص باعطائك ورقة مختومة من هنا حتى اذا ما وصلت الى هناك تراجع وتعقب الى أن يأتى الأمر باخلاء الحجز عن الجواز فنبعثه رسمياً الى ادارة الجوازات بعمان ، وأما سفرك من هنا فتنظر حتى تأتى سيارة (تكسى) من الشام ناقصة الحمولة فتأخذك الى عمان أو تمر سيارة تفتيش الحدود فتأخذك بأمر منا .

لم تحضر سيارة الحدود ولا سيارة الركاب ولا خلافتها ، غابت
الغزالة ودخل الليل وكأنه ليل امرئ القيس .
صلينا المغرب ثم العشاء ثم حضرت الجففات الغر وفيها
الثريد والعصيد ولكن النفس غير مشتهية للتناول .
جاملت القوم وجلست على المائدة كجلوس العروس هذا
يلقمنى لقمة وهذا يبش في وجهي ويحثنى على الأكل وذاك يطيب
نفسى ولكن مع من ؟ وعلى من ؟ ذلك طبعاً على جسد بلا روح
أو على هيكل بلا حقيقة .

جلس القوم بعد العشاء كمعادتهم ، البعض يغنى والآخر
يرقص والبعض يزمر حتى جاء وقت الانصراف وقد صرع الكرى
السمار فانصرفوا وبقيت فى تلك الغرفة الليلة الثانية وأنا أقول
فى نفسى لو أجد من يحملنى الى عمان بعشرين ديناراً لما أتأخر
عن الدفع .

وضعت جسدى على الفراش وكأنى أضع قدمى على شوك
القتاد ، وعظامى تقعقع من الوجل وأفكارى شاردة وأنا أضرب
أخماساً فى أسداس وأقول :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى

بصبح وما الاصبح منك بأمثل

فلما انبلج الاصبح وقمت كمادتى ، توضأت وصليت
وجلست أنتظر الفرج ، حتى اذا ما ولى ذلك الليل عن صديق
أنيق وأشرقت الأرض بضوء الشمس البهيج وتقارب الرأد ،
أقبل الضابط يحمل البشرى بوجود سيارة تفتيش الحدود وهى

فى انتظارى ، ثم أخذنى مشيعاً مبجلاً وأسلمنى الى قائدها وأوصاه بى خيراً وأركبنى بجواره ثم قال لى : سر فى أمان الله واذا وصلت بسلامة الله نفذ ما أوصيتك به من نحو موضوع الجواز ، حتى يصل اليك سريعاً ان شاء الله ، ثم قال للسائق : اذا وصلت الى عمان خذه الى حيث يرقد فى أى فندق شاء ثم أسلمنى ورقة المرور المؤقتة ثم نهبنا الأرض نهبا وجبنا الفياق حتى طار آل الأمعز المتوقد وما هى الا سويعات حتى وصلنا لله الحمد عمان .

ثم استأجرت عربية (تاكسى) وذهبت الى بيت قاضى القضاة فوجدته قد خرج الى مقر الحكم فقضيت نهارى متجولاً ما بين الغور وشارع عمان الطويل ، وكانت عمان فى ذلك الوقت قليلة السكان ومعظمهم من فلسطين وسوريا وبها جالية سعودية كبيرة كانت قد نزحت الى عمان أيام نهضة الملك (الحسين بن على) الهاشمى مؤسس النهضة العربية ، رحمه الله .

والجالية السعودية الساكنة بعمان تحترف بعض الحرف الراقية بالبلاد مثل الصياغة والحياكة والتجارة . ومعظم الصاغة من أهل المدينة المنورة فى ذلك الوقت ، ودكاكينهم متقاربة من بعضها ولغتهم لم تتغير حتى من ولد فى عمان من السعوديين لم تتغير لهجته ، كما أنهم يجيدون اللهجة الأردنية فتجدهم يتكلمون مع الأردنى بلسانه ومع السعودى بلسانه ، وهذا مما يسر ويدل على الذكاء والمحافظة .

وعمان عبارة عن شارع طويل بين جبلين ، جبل به قصر رغدان وهو قصر الحكم ، والجبل الآخر لسكنى أهل البلد والشارع يمتد الى الغور . وفى المساء رجعت الى بيت الشيخ

عبد الله سراج فوجدته جالساً لاستقبال الزائرين فسلمت عليه وأخبرته بخبرتي وشكرته على ضمانه وسعيه في التصريح لي بالدخول الى الأردن واعتذرت له عما حصل من قصور ، وطلبت منه اصدار أمره الى ادارة الجوازات ببيع الجواز . فقال يا ولدي غص النظر عن الجواز لأن الملك عبد الله اذا علم أنك قادم من السعودية ولم تحمل تصريحاً من جدة ولا تأشيرة دخول ربما يشك في أمرك خاصة وأن العلاقات سيئة بين البلدين (في ذلك الحين) نظراً لقرب العهد من حادث (ابن رفاة) الذي خرج على الملك عبد العزيز رحمه الله ولحق به بعض الغواة من بلي وجهينة وبعض الحويطات من عرب الشمال المقيمين بالأردن وبايعاز منها . ونصر الله الملك عبد العزيز وقضى على ابن رفاة ومن معه (وعلى الباغي تدور الدوائر) .

فأذعنت لأمر قاضي القضاة واستأذنت فلم يأذن لي بل دعاني للعشاء فجلست حتى تناولت العشاء ثم قال : تذهب الآن الى فندقك تبتي فيه ثم تأتي صباحاً الى القصر الملكي لتسلم على الملك وأكون هناك باذن الله ولا تشرح قصة الجواز أمام سيدنا فقلت : سمعاً وطاعة .

وفي الصباح توجهت الى القصر بعد ما علمت بوصول قاضي القضاة والزوار الى رحاب الملك . سجلت اسمي وأذن لي بالدخول فدخلت وسلمت وجلست ودارت القهوة وكؤوس المرطبات ثم أذن للجميع بالانصراف فانصرفت مع من انصرف . ثم تجولت في مدن الأردن كلها التي منها (الأزرق) و (السلط) و (اربد) وبعض الضواحي والقرى المتاخمة لفلسطين التي كانت تحت الانتداب البريطاني آنذاك وكانت الجولة ممتعة وقفت فيها على بعض

أحياء العرب الذين يسكنون الأردن وعلى بعض تقاليدهم وعاداتهم وأخلاقهم .

ذهبت الى رئيس طباحى القصر الملكي فى ذلك الحين السيد أحمد العشى ، لأننى أعرف أنه ابن المرحوم الشيخ حسن عشى رئيس طباحى القصر السعودى وابنه الأستاذ أحمد حسن العشى رئيس طباحى القصر الهاشمى بعمان ، ذهبت لزيارته فزرتة فى بيته وأعلمته بموضوع جوازى عليه يفكر فى مخرج لى باطلاق سراح الجواز المحتجز فى المفرق ، فطمأننى وقال سأبذل جهدى وأتشاور مع بعض من يهمهم الأمر وآتيك بالاجابة لعل الله أن يفرج كربك فشكرته واستأذنت .

وبعد يومين زارنى الأستاذ العشى فى الفندق وأقنعنى بعدم التفكير فى موضوع الجواز السعودى مطلقاً وأن كلام قاضى القضاة هو عين الصواب قلت : فكيف لى السفر الى السعودية بدون جواز ، قال : تزور قاضى القضاة صباحاً قبل ذهابه للقصر وستجدنى هناك وأنا أفتاهم مع مولانا ولا تفكر .

حسب الأمر ذهبت صباحاً الى بيت الشيخ عبد الله سراج فوجدت الشيخ العشى قد سبقنى وفعلاً قال لمولانا كيف يسافر الأخ الى السعودية وجوازه محتجز وأشرت عليه بكذا وكذا ؟ فقال لمولانا : اذا صمم على السفر فسأعطيه جواباً للشيخ عبود النجار قاضى (معان) وهو بدوره سيحل المشكلة من جذورها فقلت ياسيدى اذن : الآن أسافر ، أرجوكم اعطائى الجواب .

كتب الجواب وغلقه وأسلمنى اياه فودعته وشكرته وانصرفت . ثم توجهت الى الفندق وحزمت حقيبتى .

السفر الى معان

امتطيت مقعدى بالقطار الحديدى وتوجهت بسلامة الله الى معان وكانت المسافة بعيدة وبعيدة مررنا بما يزيد على عشر محطات ودخل الليل واعتكرت عساكره ودخل العشاء ومضت ساعة بعده . دخلنا معان وكانت غير متحضرة ومبانيها قليلة ، ومعظمها من اللبن ، وذات دور واحد فقط وشوارعها متعرجة وليس بها أرصفة ودكاكينها غير منظمة اذ تجد الجزار بجانب العطار والحداد بجانب البزاز ، وتجد المشترين يقفون على الدكاكين بدوابهم حتى أنى وقفت على أحد الدكاكين مرة لأشترى ورقاً وظروفاً فوجدت جملين وحمارين أمام الدكان فقلت لصاحب المحل اللبيع هذه الأنعام ؟ فقال : أصحابها تركوها وذهبوا يبتاعون بعض الأغراض بعد ما اشتروا منى أقلاماً ومحابر لأولادهم وأوصونى أن ألقى الببال لحراسة دوابهم حتى يرجعوا فاستغربت من المنظر العجيب . وأما الطرقات ، فلا تعبده فيها مطلقاً ، ولا عطفات سالكة ولا مسالك نافذة ولا أنوار كهربائية كافية وكان الليل الذى قضيته بها من ليلالى الشتاء الزمهريرية ، ولسوء الحظ كانت السماء تجود بالرذاذ مع قطر

سألت عن الفنادق ، فلم يكن لها أثر فى ذلك الليل البهيم وسألت عن المقاهى فاذا هى مكتظة بالببدو والرحل وعساكر أبى حنيك ، دفعت نفسى دفعاً الى قهوة (العم عاشور) القابعة بركن المحطة والتي ضياؤها يعشى الناظرين ، ياعم عاشور ، دبرنى والمدبر هو الله ، أرى وأمرى ومعى جواب لحضرة القاضى لأجل موضوع جوازي المحتجز ولو كان لى سابق معرفة به لطرقتة

ليلاً على الرغم من كراهية طروق الضيف لمضيفه ليلاً ، ففسال ما عندي مكان ومتأسف يا ابني وانك لا تجد فندقاً يأويك في هذه الليلة كلها مكتظة بالبدو لأن هناك حركة تجنيد وارسال جيوش على الحدود والمقاهي والفنادق المتواضعة هي التي تغطي عجز الخيام والمسكرات والحضارة لم تلعب دورها هنا كما تلعب بالمدن الاخرى وأغلب الاجراءات هنا ارتجالية وان شئت فقل بدوية لأن هذه البلاد عاصمة البدو وعسكر أبي حنيك .

قلت : من المستحيل أن أذهب الى القاضي في هذه الآونة بعد ما هجع الناس وأطفئت الأنوار حتى لو كنت أقرب قريب له ، وهذا المظروف لا يخول لي حق النزول عنده ، انما هو توصية من قاضي القضاة لحل موضوعي المعقد ، قال اذن تمضي باقى الليل على هذا الكرسي ، وياليتي من الكراسي التي تمكن الانسان من التمدد أو الاستراحة لكنه كرسي عادي بثلاثة أرجل حديدية أو معدنية ، ثم اشترط شرطاً آخر لاتمام ليلي في تلك العشة المنزوية والمقهى المتواضعة ، ما هو ؟ كل ساعة (طلب) كمثل مقاهي عرفات وسوق القرين أيام موسم الحج . رضيت بالأمر الواقع وما أطول ليالى الشتاء .

بقيت ساهراً وأى نوم على تلك الكراسي الحديدية وأى راحة وحقيقتي بجانبى وأنا ثائر الرأس جائع البطن بارد الأطراف أشرق متنى متنى تارة وأعصر معجري أخرى وأنزع جواربي تارة لتجفيفها مما حل بها من رشاش الطل والمطر والوحل ويالى من رجل عجيب ! انى أضحك على نفسى تارة وأزدري بما هيأته لنفسي من مصاعب وأتعاب لأجل غاية سياحية بعيدة المنال ، يا ترى أصل إليها بعد هذا اللأى والعسر ، أم أحرم وأرجع

بخنى حنين . مضت ثلاث ساعات ، كل ساعة بابر يق شاي من الأسود الحالك ذي كوين وشيشة الحمي الصغيرة ، قلت للمناوب بالمقهى ألا تبدل لى هذا الشاي بما يقابله من الأنواع المنبهة للدماغ ؟ فقال : القهوة الشامية ان شئت ، فقلت أحضرها واعتقنى من هذا الشاي فأحضر القهوة الشامية على زعمه وكأنها بول حمار فقلت : لا مرحباً بقهوتك ولا بشايك . وسكبتها أمامه ودفعت له ديناراً ليأخذ حساب باقى الطلبات الى آخر الليل ويجعلها رمزية من دون ما تمسها شفتي أو يلعمها لسانى فتناول الدينار وقال الباقي عند مغادرتك المقهى .

على مضض أنهيت تلك الليلة أو ذلك الليل الأليل ، تيممت مع وجود الماء (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) انه بارد متلف ولو مزجته بالماء الدافئ لدفعت ربع دينار (والله لا يحب المسرفين) ومع ذلك أين هو ابريق الوضوء وأين المتوضأ ، صليت ايماء كأنى مريض بألف علة ، (حبل الدين متين) ، أين أضع القدم ؟ وأين أسجد وأنا ليس لى الا موضع الكرسي معناه لو صليت لحملته على ظهرى .

بزغت الشمس وجاء رجل المقهى غير العم عاشور وقال : الحساب ؟ قلت : الحساب ؟ قال : دفعت ديناراً والباقي ثلاثة أرباع دينار ، وهذا الباقي يا عم ومع ما بى من غضب وأسف وندم لم أسأله عن موضع المحكمة الشرعية التى يحكم فيها الشيخ عبود النجار والظرف الذى بيدى لم يكن عليه من كتابة الا فضيلة مولانا القاضى ، قاضى معان الشيخ عبود ، لا اسم شارع ولا موقع معين وما أدرى بنفسى الا وأنا فى وسط شوارع غير مخططة ما بين صيوان منصوب فى الشارع أو بيت لبن ومعظمها من

اللبن ومعظمها آنذاك على دور واحد على شكل بيوت (رابع) ومقامى (بحرة) سابقاً ، مضى ثلث النهار القصير حتى اهتديت ووصلت الى باب المحكمة ودفعت نفسى على بابها مستأذناً بالقسر فأذن لى (الدرك) وهو الحارس أو الجنـدى فى لغة الأردن فدخلت وسلمت على مولانا القاضى رحمه الله رحمة واسعة ففض الجواب وقبله لأنه وارد من قاضى القضاة وصديق القاضى ثم هـش ويش وقال : الأمر هين لا تفكر كل الأمور سهلة ، اليوم تتغدى معنا فى بيت أم عثمان ونتفاهم على كل الأمور .

ثم جلس يشرح لى أسباب نزوحه الى الأردن وبعض ما جرى له من أهوال وهو بذلك يهون علي مسألتى ثم جاذبنى أطراف الأحاديث وتاريخ الشخصيات البارزة من آل النجار وآل مرداد وبعض العائلات السعودية وتاريخ قدومها الى البلاد وكأنه نسى أنه قاضر والعشرات من البدو عند الباب فى انتظار خروجى وهم يظنون أنى صاحب قضية ولا يدرون ما فى جوف الفراء من صيد .

قلت لحضرة القاضى: أتأذن لى وسأرجع الى سيادتكم بعد العصر وتعطونى عنوان داركم العامرة ، قال : لا سبيل الى ذلك لأنكم لو خرجتم ما تدرون الطريق ولا نحظى بكم فى تناول الغداء معنا وهذه فرصة وجلس الرجل الكريم يش ويشتهل ويأمر بالقهوة العربية والشاي المجازى الجميل ، ويأتى ببعض الشواهد العربية من الشعر والأمثال حتى أنساني كل أتعابى وحتى أذهلتنى الأحاديث العذبة الجميلة وأنشطتنى وجعلتنى أسترد ذاكرتى وأجمع شتات أفكارى حتى لقد مضى الثلث الثانى من النهار ولم أدر كيف مضى ، رحمك الله يا شيخ عبود ، وعبود (هذا) هو

ابن المرحوم العالم العلامة الشيخ أحمد النجار من كبار علماء الطائف ، رحل الى الأردن مع الملك عبد الله بن الحسين وجلس بالمعية الهاشمية وأتم دراسته هناك وتولى القضاء فى عمان ثم نقلت وظيفته الى معان لقربها من الحجاز وليأنس بالقادمين من هناك أولاً بأول على حد تعبيره رحمه الله وكان نقله الى معان بالحاح منه للملك حتى أصدر أمره بنقله .

خرجت مع الشيخ عبود وقال للبدو عند باب المحكمة : هذا الغريب قضيته عويصة جداً وتستدعى السفر معه الى الضواحي ولهذا راجعوني غداً ان شاء الله ثم ابتعدنا عن أنظارهم فالتفت الي مداعباً وقال : كل يوم وجهى فى وجوههم وأنت ضيف عزيز ومواطن موصى عليك من قاضى القضاة وعائلتكم لها صلة كبيرة بعائلتنا كما أن والدى المرحوم كان زميلاً لمجدك عبد المعطى مرداد وابن عمه المرحوم الشهيد (عبد الله) قاضى مكة المشرفة فى أيام الحسين كذلك ، وجعل يقص علي القصص حتى نتقطع الطريق الطويل ونصل الى بيت أم عثمان بدون أن نحس وأنا أتلوى من الجوع لأنى لم أتناول طعام الافطار سوى ما التهمته وطعمته من كؤوس القهوة والشاي والأحاديث التجارية .

وكان الشيخ عبود متجلبباً بجلباب بدوى ومتحزماً بشال من الصوف الكشميري ثم جبة من الصوف الأحمر الأنقورى وعمامة ألفية جميلة وينشر على كتفيه شالا من الصوف والريح الباردة المرفقة بالغبار ترفع هذه الجلابيب الى حدود الركبتين ثم تنفضها وتجعلها كالمظلة أو الخيمة المعمدة بأرجل متحركة .

وصلنا الى بيت أم عثمان ، وحضر الغداء وتناولناه ثم القهوة والشاي ثم أمر القاضى بتجهيز غرفة خاصة للضيف

السائح فيها سرير ومفرشة عربية وسجادة صلاة وبعض الكتب الدينية المنتشرة على الرفوف ثم شيعنى الى الغرفة وقال نم هادئاً وسأوقظك قبيل المغرب فأومات شاكراً من شدة التعب والسهر ثم ألقيت بنفسى على ذلك الفراش الوثير الهادئ الدافئ وتلحفت بعباءتى ونمت نوماً عميقاً ونسيت كل شيء .

نبهنى قبيل المغرب كما قال ، ثم أمرنى بالصلاة وقد فات الوقت فصليتها فائتة وأذن المغرب وجمعت بين الصلاتين مقلداً أحد المذاهب لأنه لا جمع عند الأحناف ولكن للضرورة أحكام ثم رتبت كؤوس القهوة وخرجنا الى الصالون العام أو بهو المنزل وقد جلس الشيخ وحضر الزائرون والمراجعون ومن لهم قضايا خاصة أو مراجعة لبعض الشؤون ودارت الأحاديث الشيقة وطاب السمر وأراد الزوار والصحب الخروج فلم يأذن لهم الشيخ ثم حضر العشاء (السليق) الأكلة المحببة فى الطائف ثم قال تتعشون الليلة معنا على شرف الضيف السائح فبهرت خجلاً وانفلتت منى وضاعت أحاديث الشكر وكأنى ألجمت بلجام من المعروف وكرم الوفادة .

ودعنا الصحب وذهبوا الى بيوتهم وكل منهم يريد دعوتى فأحلتهم على الشيخ والشيخ يقول لا اجابة الا بعد ثلاث وكأنه يقصد أن أقيم ثلاثاً عنده ثم بعدها أتناوب الضيافة مدة اقامتى وخاصة بعد ما أطلق علي لقب (ضيف القاضى) ، ثم انحنى علي الشيخ مسراً بكلمات لا يسمعها الخدم والصبية ، غدا غداؤك فى بيتى الثانى فقاطعت الحديث قائلاً : يامولاي ما أسديته الي من معروف يكفينى ولا أحتاج الى اقامة أكثر مما قضيت ورجائى أن تسهل أمرى بالسفر الى السعودية غدا صباحاً على الأكثر ولو

تأذن لي قبل ذلك أكون ممنوناً فضحك الشيخ وقال الى هذا الحد أنت زعلان منا ، قلت : ولكن لي صديق في تبوك يريد أن يصحبني الى مدائن صالح ولو تأخرت لما وجدته وأقصد بذلك الشيخ عبد الله بن غريض وما جرى بيني وبينه من حديث وموعد ولقاء هناك قبل سفره للموسم لبيع الماشية ، فقال : ان كنت مصراً ففى الصباح يحلها ربنا ، وفى الصباح ذهبت معه الى المحكمة وتوسلت اليه أن يرحلني بأي طريقة ، فقال : ما هناك طريقة ولا طرق .

المستر جلوب (١)

الحل الوحيد هو أن أحرر لك جواباً بخطي وتحت ضمانى

(١) له أسماء كثيرة عديدة عند القبائل وأشهرها هذا الاسم وكل قبيلة تناديه باسم خاص وهو يجب على الكل ولا يعترض كما سيمر بك وكذلك زوجته ، وأما اسمه الحقيقي على ما بلغنى من بعض خواصه فهو (الكولونيل فردريك) وهو أخ للورانس الشهير ، وهذا الكولونيل شهرته (بيك باشا) وهو الذى لعب دوراً مهماً في تكوين الفيلق العربى الشمالى بل هو الذى أسسه وكان يعمل مستشاراً للملك عبد الله بن الحسين أمير الأردن حينما كانت الأردن امارة وهو النائب الأول للملك ويده مقاليد الأمور بل هو الذى أسس الامارة الأردنية وفصلها عن فلسطين وله معرفة كبيرة بقبائل الشمال حتى أنه ألف كتاباً في قبائل عرب الشمال لكنى لم أنقل منه شيئاً لأنه غير ثقة عندى وهذا مذهبه كمذهب ابن جرير الطبرى رحمه الله اذ قال لا تنقلوا تاريخ العرب من غير العرب لأنه لا يخلو من الدسائس ، وكذلك لم أسجله فيمن سجلتهم من مؤرخى العرب مع ملاحظة أنى سجلت أمين الريحانى فيمن تجول في بلاد العرب وكتب عن بلاد العرب ولكنى لم أعتمد عليه في نقل واكتفيت بوقوفى وسؤالى للرعاة والخبراء النازلين بقرب الامكنة الأثرية ، والمستر المذكور من أهل لندن ببريطانيا وله تاريخ حافل ويبلغ من العمر ٥٣ عاماً حينما كنت في هذه الجولة الاكتشافية في عام ١٣٥٧ هـ ويتكلم العربية بطلاقة على لكنة بسيطة وأحياناً يتنهه وزوجته أقل فصاحة منه .

الى القائد (أبى حنيك) المستر جلوب الأمير والقائد العام للقبايل الأردنية والحدود وأخبره بأنك رجل سعودي من سكان المملكة العربية السعودية وسائح ومكتشف ومؤرخ وتريد السفر الى مدائن صالح عن طريق الحدود الأردنية وليس لك أى صبغة سياسية وأنت حضرت الى عمان بجواز سعودي ، وفقد منك وأطلب منه أن يعطيك ورقة مرور وشهادة يفقد الجواز وبدون ذلك لا تقبلك البلاد السعودية مهما حاولت ، فأذعنت للأمر الواقع وتسلمت الجواب وقلت له : ابعثنى الى محطة السيارات أو السكة الحديدية أو الى أى مواصلة فقال : ما هناك مواصلات الا سيارات الحدود توصلك الى مقر المستر جلوب وسأبعث معك دركياً من قبلى يركبك بجانب سائق سيارة عسكرية مكرماً مبعجلاً موصى عليك ، فودعت القاضى وتشكرت منه وبيدى الجواب المغلف للمستر جلوب وعليه ختم محكمة معان وختم القاضى .

أمسك بيدي الدركي مترقفاً بى ، وحاملاً حقيبتى وبعض ما أوصى به القاضى من مشتريات وأمتعة ، الشيء الذى لا أعلم عنه الا فيما بعد ، ثم سألت الدركي ماذا تريد أن تشتريه لى ؟ فقال : أعطانى القاضى نقوداً وأمرنى أن أشتري لك بسكويتاً وبعض المعلبات وقهوة ناشفة وسكراً وشاياً وفاكهة وسأجعل الجميع فى (كرتون) غلاف من الورق السميك المقوى وأربطه بحبل وأجعله لك على ظهر السيارة وأفهم السائق بذلك فقلت له : لماذا ؟ وكنت أظن أن المستر جلوب فى نفس معان فقال : لا ولكنه فى (قلعة المدورة) .

السفر الى المدورة

وهي بالألف المفتوحة واللام الساكنة والميم المضمومة والدال المفتوحة والواو المفتوحة المشددة والراء المفتوحة والتاء الساكنة ، قلت : فأين قلعة المدورة ؟ قال : ساعات قليلة وتصل بالسلامة ثم ذهب الى السوق واشترى ما شاء أن يشتريه وملأ الحقيبة الورقية مما شاء أن يشحن ، وأحكمها ربطاً كما اشترى حافظتين من الألنيوم المغنطس الذى يحفظ الشئ حاراً أو بارداً لمدة معينة ، وملأ احدهما قهوة دافئة سخنة من بعض المقاهى الراقية ، والأخرى من الشاي الساخن اللذيذ فأخرجت محفظة النقود لمحاسبته فقال : كل هذا على حساب القاضى ، وبالصدفه كانت فى السوق احدى عربيات الجيش مشحونة بالعسكر ، فوقف عليها الدركي وأسر الى السائق ببعض الحديث فنزل السائق ، وسلم عليّ ثم أمر الضابط الذى كان راكباً بجواره أن ينزل ويركب على سطح السيارة مع الجنود ثم قال لى : تفضل . وأجلسنى بجانبه ثم ودعنى الدركي ومشى .

غادرت السيارة باسم الله مجراها وهى من نوع « الوנית » فنهبت الأرض نهباً وسائقها كان جباراً لا يبالي الرمال ولا بالحزون ولا بالحرار ، وكان الوقت ظهراً ، مضت ساعة ثم ساعة وأنا أقول فى نفسى لعلنا وصلنا ان شاء الله ، دخل العصر وارتبكت واصفررت وقلت للسائق : ألا تصدقنى أين هى المدورة ؟ فقال : نَحْظَات وتَنَزَل ان شاء الله ، وفعلاً ، بعد ساعة من قوله نزلنا من العربية فى وسط مفازة لا يعلم قرارها الا الله وكان الوقت مائلاً الى الغروب .

لم يتكلم أحد من الركاب ولم ينبسوا بكلمة ، أنزلوا من
العربية قرية ماء وبدأوا يتوضؤون وأنا معهم ثم صلينا الظهر
والعصر جمعاً ، ونحن نسلم غابت الشمس ، قال السائق : ننتظر
برهة لنصلي المغرب والعشاء جمعاً ثم نمضى ان شاء الله ، قلت :
فأين هي المدورة ؟ قال : على رسلك ، أنت الآن في صحراء النقب
وعسى الله أن يخرجنا منها سالمين من دون ما نغرز في الرمال
أو لا سمح الله يحصل حادث في العربية من كسر أو نحوه وليس
معنا قطع غيار لأن القطع في عربية أخرى وعساها تنطحنا (أى
تقابلنا) ونحن هنا لنأخذ منها لساتك وكفريات لانى لست بوائق
أن هذا الونيت يوصلنا الى المدورة . قلت فى نفسى انا لله وانا
اليه راجعون ، الله ينجينا وينقذنا ويوصلنا سالمين ، ثم أذن
مؤذنه للمغرب فصلينا الجمع ثم قلت للسائق : متى نتعشى ؟
فقال : بعد ساعتين . وكأنه يطعننى بسكين من هول الكلام وقد
دهمنا الظلام وجاعت البطون ووجلّت القلوب وما للرجال عن
القضاء محالة .

امتطينا السيارة وأنا بجانب السائق الحادى الذى أمضى
الطريق فى الأناشيد البدوية التى تشبه حداء الابل وكأنه شيخ
الحداة ، لم يفتر لحظة من الصباح ، بعد ساعتين وقف بنا على
كثيب ونزلنا ونزل القوم وجمعوا شيئاً من الحطب وأجزلوه
ضراماً ثم أخرجوا قصعة صغيرة وسكبوا فيها من الدقيق وعجنوه
بعد اضافة شئ من السمن لثّوه بذلك الدقيق وأخرجوا مجرفة
كبيرة مدوا عليها العجين المبسوس وأدخلوه فى الضرام وطبخوا
القهوة والشاى ثم مدوا جلدة كسبت اليمانى أو ثقال الرحى ،
وفتتوا عليها الخبز وأداروا أكواب القهوة والشاى وشيئاً من

التمر ، ازدردناه والتهمنا كل شيء برز على ذلك الخوان وحمدنا الله وركبنا السيارة ، وكان الليل قد قارب الانتهاء فأردنا التعريس لكن السائق الحاكم بأمره منعنا من التعريس ونهب الأرض حتى طلعت الشرى وقارب الاصبح أو طلع .

وقف السائق وأمر بالنزول فنزلنا وتيممنا ثم صلينا بغلس وعاولدنا المسير حتى جاء الضحى واذ ببناية تبدو وكأنها علم معلق فى الفضاء ، سألت السائق عنها فقال : هذا الجفر وسنقف فيه قليلا نفطر ونتقهوى أىتناول القهوة والشاي بعد الافطار ، ثم قال : لو وجدنا المستر جلوب هنا لكان خيراً لك اذ تتم راحتك ويسنحك من هنا ومعنى يسنحك : يقضى أمورك كلها حتى تغادر الحدود .

وصلنا الجفر قبيل الظهر واذا هو حصون وخيام عسكرية وبعض مدافع على قواعدها راسية أمام بعض القلاع والخيام ، نزلنا بمفردنا ورحالنا على ظهر السيارة ، فاستقبلنا القوم هناك ورحبوا بنا ومدوا لنا طعام الافطار ، وكان تمرأ نقيأ وخسب ملة وزبدة طازجة وأقداحاً من لبن النياق ثم القهوة والشاي .

ثم لما صار ظل كل شيء مثليه وحان العصر توضأنا وكان الماء كثيراً ولعله من أرتواذى محفور عندهم ، ثم صلينا صلاة الجمع وربنا يتقبل ان شاء الله ، ثم سأل السائق ، الشاويش أو (المقدم) ومعناه عندهم من يتقدم أمور العسكر ويصرف لهم المعونة والمعاش أو من ينوب عنهم فى محادثة أبى حنيك ، سألته : هل يوجد الوالد وهو لقب لقبه به بعض البدو ، فقال الشاويش هو فى المدورة .

غادرنا الجفر وسرنا الى المدورة فوصلناها بعد منتصف الليل مع العلم بأن السائق كان يجرى على سرعة مائة وأحياناً على ١٢٠ ، وصلنا متعبين منهكين مجهودين ، وحطت رحالنا واستقر بنا المقام فى احدى الخيام المنصوبة حول قلعة المدورة . وقابلنا بعض الدرك من لابسى البياض فرحب بنا وحضرت القهوة ثم ما تيسر من طعام معلب محفوظ ثم نمنا نوماً عميقاً حتى اذا ما أقبل الصباح أذن المؤذن فصلينا صلاة الغداة مغلسين وأعدنا الكرة على الفراش حتى اذا ما علت الشمس قمم الجبال تنبهنا وقد حضر الافطار فتناولناه ثم القهوة والشاي ثم عمدنى السائق أن آخذ الأهبة للقاء المستر جلوب بعد التيقن من وجوده ثم أخبر رئيس الحرس بموضوعى فقال : استعدوا وسأخبره وآتيكم ثم غاب دقائق معدودة ورجع فاصطحبنا معه الى القلعة أنا والسائق وبعض الضيوف من الحدود .

قابلنا وصافحناه فى داخل قلعة المدورة وكانت زوجته بجانبه وكلبها الصغير فى حجرها تربت على ناصيته ، ثم ناولناه مظروف الشيخ عبود ، فضه وقرأه ثم أمر الكاتب الخاص بتحرير وثيقة تشهد بفقدان جوازى وتسهل لى مهمة المرور واجتياز الحدود فكتبها الكاتب ووقعها المستر جلوب وأسلمنى اياها ثم قال أنت ضيفنا الآن وجعل يسألنى من هنا وهناك وقال : أنت قد رحلت الى هذه البلدان وعندك كل خبر . فأنت جهينة الأخبار .

فأجبتة : بأنى لست سياسياً ومهمتى تنحصر كلها فى السياحة ، ومعرفة الآثار القديمة سواء منها ما كان فى البلاد السعودية أو ما كان فى غيرها من البلدان العربية والأجنبية ولا

تعلق لى بأمور السياسة مطلقاً وشرحت له طرفاً من قصة حياتى
ومغامراتى السياحية .

خليج العقبة

فاقتنع وقال : ما دامت هذه مهمتك فهذه سيارة الحدود
ستسافر الى العقبة فان كان لك رغبة فى الوقوف على هذا الخليج
وهذه البلدة فأخبرنى لأحرر لك جواباً لقائد المنطقة هناك ليكرم
مثواك اذا وصلت فأجبتة : نعم . فأمر الكاتب بتحرير الخطاب
وأسلمنى اياه ثم نادى سائق العربية (الونيت) فأوصاه بى
خيراً ثم حضرت مائدة الغداء وهى عربية محضه ، بسط الخوان
على الأرض ، ووضع فى الوسط قاعدة خشبية أشبه بخشبة
اللحم أو (الوضم) المستدير ، ثم جاءوا بقصعة عظيمة يحملها
اربعة رجال ، ووضعوها على القاعدة وهى مملوءة أرزا أصفر ،
ثم جاءوا بتمر كثير نثروه على الخوان وصفوا أقداح اللبن
الرائب ثم توسط أبو حنيك مائدة الطعام ونادانى ثم نادى
نحواً من ثلاثين من أتباعه وخواصه ووزرائه ثم قال : (تفدلوا
يقصد تفضلوا وشمر عن ذراعه وغاصت يده فى السنام
وامراته معه وجعل يأكل ويقدم لى قطع اللحم ويرمى ببعض
القطع من العبيط والسديف لبعض خواصه ولم يطلب ملعقة ولا
شوكة ولا فوطة وكذلك الزوجة . انغمست فيما انغمس فيه
القوم ، وأكلت مثلهم واغتبت من أقداح اللبن ، ثم استأذنت
فى السفر الى العقبة فرضي ثم قال رجوعك الى هنا ومن هنا سوف
تسافر الى السعودية ثم أمرنى السائق أن أركب بجانبه ففعلت ،
وأودعت حقيبتى وملابسى الثقيلة فى المدورة وسرنا الى العقبة

وكان الطريق وعراً كله رمال وسبخة ، وسلك السائق طريق الساحل بعد ما قطع مسافة طويلة .
وصلنا العقبة واستقبلنا قائد المخيم الخاص بالمستر جلوب .
وفي الصباح وبعد الافطار صحبتني نفر منهم الى داخل ميناء العقبة ، ثم مر بي على مخيمات أبى حنيك ثم السوق والقلاع والحصون طوال النهار ، وفي الصباح سرت الى الوئيت الخاص بمعسكرات الحدود وما هي الا لعظات حتى وصلنا ساحل ايلات ونفس الشيء من هضبة الى هضبة ، ومن مخيم الى مخيم حتى جئنا الساحل كله ودخلنا أسواق البلد .

ذات الحاج

وبعد ما مكثت بالمدورة ثلاثة أيام هيا الله بسيارة (وئيت) تابعة لأبى حنيك ، لا أدري لماذا قامت أو لأى غرض كان سفرها الى ذات الحاج ، اذ بينما كنت فى صبيحة اليوم الرابع من حين رجوعى من العقبة وبينما أنا أتناول قهوة عربية فى أحد المخيمات اذ برسول المستر جلوب يدعونى فأجبت واذا بالمستر على باب صيوان كبير وهو ينادى : حظك قوى يا كشف يا الله هذا وئيت مسافر الآن الى (حاج) يسلمك لأمرها ، وأنت بدورك تتفاهم معه على كل ما حصل لك وما تريد أن تعمله ومع السلامة . ثم ودعنى وودعته وقدمت آيات الشكر على الحفاوة بى وكرم الضيافة وتسهيل ما صعب علي من اجراءات . ثم نادى (المقدم) وأسر اليه بكلام فجاء الي وقال : أين حقيبتك وأغراضك؟ فأشرت اليها بأحد المخيمات فأمر واحداً من العساكر بحملها الى الوئيت وأركبني بجانب السائق وقال زمزمياتكم ملأناها بالقهوة

السخنة والشاي ومعكم كرتون فيه بعض معلبات وبسكويت وفاكهة . قامت السيارة من المدورة فى الساعة العاشرة صباحاً بالتوقيت الافرنجي وظلت سائرة الى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ثم وقف السائق على هضبة مظلولة بعض الشيء فنزلنا ونزل بعض من بسطح الوנית وجمعوا شيئاً من الحطب وأجزلوه ثم أضرموه وعملوا القهوة والشاي وقرص المجرفة الضخم وفتحوا علبتين من الجبن وتناولنا ما تيسر واسترحنا قليلا الى أن صار ظل كل شيء مثليه .

تيممنا وصلينا صلاة الجمع ثم امتطينا الوנית ونهينا الأرض نهياً وشققنا الحزون شقاً حتى اذا ما مالت الشمس الى الغروب اذ بذات الحاج تلوح لنا ، والسائق يقول : أبشر فقد حان الوصول فوصلناها فى الساعة الخامسة والنصف بعد أذان المغرب بقليل وكان اليوم السابع من شهر ذى الحجة عام ١٣٥٨ هـ .

وقف الوנית على باب المركز وكأنه مركز أم السلم بطريق جدة . أنزلنى السائق وأنزل الحقائب والكرتون ثم كلم المأمور السعودى بشأنى فطلب منى المأمور ابراز الجواز فأخرجت الوثيقة التى أخذتها من المستر جلوب ، فقال لسائق الوנית : أرجع هذا الراكب من حيث أتى أو يدخل السجن حتى يأتى أمر من الرياض بدخوله البلاد السعودية وجلس المأمور يخبرنى بين الحالتين وتجادلت معه فى حوار حاد حتى أقبل رجل مهيب لابس جلباباً وعقالاً وبيده مسواك يلجه فى فمه تارة ويخرجه أخرى ، فقام المأمور إجلالاً وحياء وجعل يقص عليه قصتى ويسرد عليه حكايتى فالتفت الى الرجل قائلاً : ويش علمك ؟ علمنى

بالصحيح . قلت له وقد تغلب علي الغضب : من الأخ ؟ فقال : أنا
أمير ذات الحاج ، (أحمد الأشيقيح) فقلت فى نفسى ليتنى لم
أغضب اذ لعل غضبى تزيد من حدة التوتر والاصرار على ارجاعى
فبدلت غضبى بليان ، واستعطف سعادة الأمير ، ورتلت
بعض العبارات الانشائية وقصصت قصتى وما جرى لى وكيف فقد
جوازى ، وما تجشمت من أهوال وأخطار فى سبيل الوصول الى
مدائن صالح وجعلت أخفض من صوتى وأستعجب الأمير السعودى
عنه يقبل العتبى ويغفر الزلة ويتجاوز عن الغلطة ويقطع عن
الاصرار برجوعى ثانية الى الحدود فأكون سيء الطالع وعائر
الحدود وراجعاً القهقرى بالوجد وخفى حنين ، كل ذلك فى
سبيل الوصول الى مدائن صالح ولسان حالى يقول متمثلاً :

كيف الوصول الى سعاد ودونها قلل الجبال ودونها حتى حـ

فما كان من الأمير الكريم الا الصفح الجميل وقبول العذر
اذ فاجأنى قائلاً : أبشر ، ثم قال : من حظك الطيب أن غداً تأتى
سيارة الحدود التابعة للمملكة العربية السعودية لتنقلنى أنا
والحاشية الى تبوك لقضاء اجازة عيد الأضحى هناك وستكون
يرفقتنا ان شاء الله ولولا هذه الفرصة الطيبة لمكثت هنا شهراً
على الأقل حتى تكون مناسبة لمجيء سيارة التفتيش الخاصة بالحدود
أو تجد مكارياً تستأجر منه ناقة تنقلك الى تبوك وتمضى يومين
أو أكثر فى الطريق ، والمسألة الثانية اذا وصلنا تبوك فسيتمولى
حل مشكلتك أميرها سعادة الأمير محمد بن سلطان كما أنى
سأوصيه خيراً بك ان شاء الله .

ثم أكرم نزلى اذ قضيت ليلة كريمة معه فى داره العامرة
وأصبحنا يوم الثامن من ذى الحجة وتناولنا قليلا فى ذات الحاج
ووقفنا على ما فيها من ماء وزرع ، وجاء الظهر وتناولنا الغداء
على مائدة الأمير ، وكانت الأكلة نجدية بحته اذ تضم قصعة من
المرقوق المكلل بالقديد من لحم الغزلان ، كما تضم قصعة من
الجريش ، والجريش عبارة عن قمح منزوع القشرة ومدقوق بعض
الشيء ثم يطبخ طبخاً جيداً ويعصد حتى يشبه العصيد ثم يضاف
اليه السمن وهو من أكل العرب القدماء وجاء فى قصائدهم كما
أنشد الأصمعى لشاعر جاهلى راجز ، من قصيدة :

سمنتها بالجريش أمها كي تبتغى عزباً يشمها

وبعد الفراغ من تناول الغداء والقهوة والشاي أقبلت
السيارة الحمراء وكأنها علم يرفرف من بعيد فقال الأمير : هذه
العربية قد حضرت فطار القلب فرحاً لقدومها .
وما هى الا ساعة من أصيل حتى أتم القوم تجهيزها وجعلوا
فيها أوعيتهم ومتاعهم وحقائبى مع رحالهم توسط سطح (الونيت
العسكرى) وركب الأمير بجانب السائق وأركبني بجواره وأمر
(الحويا)(١) بامتطاء ظهر العربية فركب جميعهم وسرنا على

(١) كلمة الحويا بضم الحاء وكسر الواو أو بكسر الغاء والواو معا ثم
ياء مشددة مفتوحة بعدها ألف . هذه الكلمة تستعملها بادية نجد فى معنى
البطانة أو العاشية للملك أو الأمير والوزير ويقولون للمفرد خوى بفتح
الغاء وكسر الواو .

بركة الله ميممين تبوك ، وكان الأمير يحدثنا فى الطريق عن أسماء الأمكنة وقصص البدو ، وما الى ذلك حتى قطعنا المسافة الطويلة الشاقة من دون أن نشعر أو نحس بوعورة الطريق لأنها ليست معبدة اذ كان الغبار يغطى الجور أحياناً والحصى يتطاير تطايراً والحزون التى ترج العربية رجاً شديداً ، وتجعل عجلاتها تن وتزن وهو ما يسميه العامة (البطناج) .

وصلنا تبوك ليلة التاسع من ذى الحجة أذان العشاء وقبل أن نلج البلد نزلنا لصلاة الجمع ثم شربنا ماء وقهوة ورجعنا للعربية حيث مشينا بضع دقائق حتى كنا بباب الأمير (بن سلطان) بتبوك .

نزل الأمير (الأشيقح) والحاشية وأنزلوا ما على ظهر السيارة من أمتعة وحقائبى حيث نزلنا جميعاً دار الضيافة عند سمو الأمير ، ثم أسر الي الأمير أحمد الأشيقح بألا أتكلم عن شىء مطلقاً سوى السلام وما يتعلق به وهو سيتولى افهام الأمير عن موضوعى ثم قال لى : موضوعك صعب جداً وعسير للغاية لأن عندنا أوامر ملكية بارجاع من يأتى من هذه الحدود أو سجنه لكن لله الحمد كانت الظروف مواتية وفرصة العيد الأكبر مناسبة لقبولك ولعلى اذا أفهمت الأمير يحسن الوساطة ويتولى الابراق لملاة الملك عبد العزيز ، فأذعنت لما قاله أمير ذات الحاج ، ثم استقبلتنا عند مدخل الامارة حاشية الأمير ، ثم رقينا المصعد الحجرى الى مجلس الأمير بن سلطان حيث كان واقفاً مع بعض مستشاريه ينتظرننا كما كان بمجلسه مدير شرطة تبوك أحمد فراش ، وقائد حامية الدفاع أحمد بدوي وهو والد فيصل ورايف كما كان مدير ماليتها الشيخ أمين كركدان ومدير

اللاسلكى السيد طه ياسين ، والمهندس عوض وحزمة عشقان
ونخبة من أهل تبوك فسلمنا جميعا على سمو الأمير وحاشيته
وبقية الصحب والموظفين .

ثم ان الأمير أحمد الأشيقح جلس بجانب الأمير بن سلطان
وجلسنا جميعاً على السجاد الفاخر والمتكات النجدية الجميلة ،
حيث أديرت أكواب القهوة والشاي وألوة الطيب التي تروح
وتؤوب مرات عديدة ، وما أجملها من عادة لطيفة لذينة وخاصة
إذا كان البخور جيداً وجزله من العود الهندى الفاخر ، ثم ان
الأمير الأشيقح أسر الى أمير تبوك ببعض الحديث وكان يرجع
بصره نحوى أثناء الحديث حتى حدقنى الأمير ابن سلطان وجعل
يتبع نظراته الي حتى فرغ الأمير من حديثه السري ، وأنا أقول
ياستار ، الليلة عيد الأضحى وياهل ترى ماذا سيكون من أمري
أيزج بي تى غياهب السجون أم آكون من المنطلقين ؟ وجعلت
أتخيل وأفكر كثيراً وأضرب أخماساً في أسداس حتى اذا ما زاد
قلقى وتحيرى نادانى الأمير الكريم ابن سلطان فقامت اليه خائفاً
أترقب مصيرى ومأل أمرى ، فما كان منه الا أن أفسح لى بجانبه
وأجلسنى وجعل يحدثنى ويلطفنى ويبش فى وجهى حتى أدخل
على قلبى السرور والطمأنينة .

ثم قام الى صالة الطعام وقام معه أمير ذات الحاج وقام كل
من بمجلس الأمير من موظفين وحاشية حيث جلس الأميران على
المائدة وجلست قريباً منهما ، ثم بقية البطانة ، وكانت مائدة
فخمة (الأرز الهورة الأصفر) على قصعة عظيمة يتوسطها سنام
أصفر وقطع عظيمة من الجزور ، ثم قصاع صغار فيها ما فى
الكبيرة غير أن لحومها من الدواجن الصغيرة وأنواع كثيرة من

الايدام والفاكهة فتعشىنا ثم رجعنا الى المجلس الأول حيث تناولنا القهوة والشاي والطيب ، ثم قام الأميران وقام الجميع وأخذنى أمير ذات الحاج الى غرفة بجانب غرفته فيها فراش وثير وأمرنى بالنوم فنمت نوماً هادئاً حتى الفجر ، ثم ثار كل من بدار الضيافة للخروج الى الصلاة ثم الذهاب الى صلاة العيد فتطهرنا جميعاً وخرجنا للمشهد ، حتى اذا ما تمت الصلاة والخطبة ذهبنا جميعاً الى دار الامارة حيث أديرت القهوة والشاي والحلوى والمرطبات ثم أسر الي أمير ذات الحاج أن ألقى كلمة يكون لها وقع جميل في النفوس وتكون بمثابة كشف لأمرى حتى يثق الأمير بصدقى ويتحقق ما قاله أمير ذات الحاج من قول بشأنى وبراعتى فتوكلت على الله ولم أكن قبلاً ممن يخطب أو يتكلم فى حفل لكن الحاجة ماسة والضرورة أحوجت فارتجلت كلمة أظنها قوبلت بالاستحسان !

ثم بعدها صافحنى كلا الأميرين وأبشا وبشرانى بقضاء حاجتى ، ثم ذهبنا الى الاستراحة حتى كان وقت الغداء وقد حضر أهل البلد من موظفين وتجار وسياح كانوا جميعاً مدعوين للمأدبة العظيمة مأدبة العيد الكبير ، وكانت تحوى ما لذ وطاب وكنت محل الحفاوة والتكريم من الجميع اذ كان اللقاء الكلمة قد أعارنى انتباه الجميع حتى صار كل رئيس عمل يوجه الي دعوة فقبلت أول دعوة بعد أخذ الاذن من سمو الأمير وكان الداعى الشيخ أحمد فراش مدير شرطة تبوك فتوجهت الى داره وكان يقيم بجناح من دار الشرطة بالقلعة فذهبت معه وبنت عنده ثم كان الغداء فى اليوم الثانى اذ دعا لفيقاً من الموظفين وكانت المفاجأة . بعد الغداء أخبرنى بأنه استأذن سمو الأمير أن أكون عنده

حتى يأتى الأمر بسفرى من تبوك ، فقلت : ولماذا أنتظر الأمر ؟ فقال : أما تدري بأنك سجين وما أشعرك أنك حتى لا تفتنم ؟ وكانت الكلمة التى ألقيتها يوم العيد بمجلس الأمير سبباً فى إطلاق سراحك ، وكان أمير ذات الحاج أوصى بك أمير تبوك خيراً وأوصى بالتوسط فى حل مشكلتك سريعاً وأن سمو الأمير أبرق لجلالة الملك عبد العزيز بشأنك وكلنا ننتظر الرد بفارغ الصبر - ثم الذى غمنى أكثر فأكثر هو غياب ابن غريص ، الرجل الذى قال لى انه فى انتظارى بتبوك ولم أجده ، وسألت عنه ف قيل لى انه من الرؤساء وتجار الماشية وذهب للموسم ولم يرجع .

جلست فى تبوك أياماً كثيرة منها أيام العيد الثلاثة ، وكان معى أمير ذات الحاج وبطانته وبعض الضيوف من الحدود الذين حضروا لقضاء عيد الأضحى ثم سافروا جميعاً بعد الرابع بعدما بشرنى أمير ذات الحاج بأنى سوف أسافر الى مدائن صالح معزراً مكرماً من قبل أمير تبوك وأنه أبرق للملك بكلام حسن وبمجرد وصول الأمر سوف أغادر البلاد ثم ودعته وبودى لا أفارقه لأنه أدخل علي السرور من حين وصولي الحدود السعودية الى يوم الفراق ثم كان البين وغادر تبوك بصحبه الى مقر عمله وبقيت وحيداً منتظراً للفرج .

وفى كل يوم أتلقى دعوة من السعوديين الكرماء كما نقضى شيئاً من السمر فى الادارة اللاسلكية حيث نستمتع الى بعض الأغاني من الميكروفون اذا لم يكن هناك ارسال أو أخذ كما كنا نستمتع الى صوت أم كلثوم أحياناً وعبد الوهاب مسارقة وخفية ونشرب شيشة الجراك فى السراييب ، لئلا تتفشى الرائحة فتهاجمنا اخوة الأمر بالمعروف فنكون لا سمح الله معرضين لأسوأ الاحتمالات

بينما نحن ننتظر الفرج وتسهيل أمورنا ، وقد زاد الصبر وكدت
أياس وضقت ذرعاً بالانتظار ويعلم الله ما أنا فيه من وجل
واضطراب على الرغم من كونى محل اكرام الجميع وحفاوة
الأمير والبطانة وسائر الموظفين ، وما زلت أعلل النفس بالأمال
أرقبها وأكرر : فصبر جميل وأتمثل منشيداً قول الاعرابي في
محنته مع الحجاج بن يوسف الثقفى :

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال
صبر النفس عند كل ملم ان فى الصبر حيلة المحتال

وبينما أنا كذلك وفى شدة من الأمر اذ جاء البشير يبشرنى
بوصول جواب البرقية بعد مضى خمسة عشر يوماً فقابلت سمو
الأمير وكان متهللاً اذ فاجأنى حين المقابلة والبرقية فى يده اليمنى
ويقول : أبشر فقد تسافر ان شاء الله وقد أمر الملك بعدما نشأ
عنك ووجدك سليم الغاية برىء الساحة ، أمر بدخولك الى أى
بلد شئت فى السعودية من دون مضايقة وسيعطى لك جواز سفر
من أى بلد تريد ، ثم كلمنى مدير الشرطة أمام الأمير والبطانة
ومدير المالية وقال لى : أحمد الاله فانك كنت سجيناً ولم نشعرك
ولذلك طلبت من سمو الأمير أن تكون ضيفى طيلة مدة السجن
وهى المدة التى ما بين ابراق البرقية ووصول جوابها والذم
نجاك من السجن ، الصدقة الطيبة وهى العيد الأكبر وصحبة أمير
ذات الحاج ووساطته لدى أمير تبوك وكلمتك التى ألقيتها صبيحة
عيد النحر .

ثم كانت المفاجأة السارة الكبرى ، وصول ابن غريض من الموسم وزيارته للأمير وتكريم الأمير له لأنه من الشخصيات البارزة في تلك الجهة ، فكانت ليلة الأفراح والسرور وكانت من أقصر الليالي لأنها تحمل بين زواياها الفرج ودخول الوطن والسياحة ، أماكن مدائن صالح ووجود ابن غريض الذي وعدني بالسفر سوياً مع رفقة من التجار الى مدائن صالح فتمثلت بقول عمر بن أبي ربيعة :

فيالك من ليل تقاصر طوله

وما كان ليلى قبل ذلك يقصر

فشتان بين هذه الليلة الكريمة وبين تلك الليالي الكئيبه ، ولو أنها مليئة بالخير وعدم المضايقة لكنها في الوقت نفسه طويلة وطويلة بالنسبة لما تخفيه من مجاهل لا أعلم حقيقتها اذ كل ليلة تمر بي وما كأنها الا من ليالي مجنون ليلي أو جميل بثينة أو كثير عزة أو ليالي امرئ القيس .

مع ابن غريض

ذهبت صبيحة البشارة الى دار ابن غريض مع مدير الشرطة وسلمنا عليه ثم قلت له : ماذا تم في أمر السياحة المدائنية التي وعدتني بها في فندق عمان بالأردن أظنك عدلت عنها كما يخيل الي ؟ فقال : بالعكس ، أنا مصمم وما كنت الا بالأطراف حيث بغت ما عندي من ماشية صالحة للموسم والآن مصمم على

السفر بعد غد ان شاء الله أنا ورفاقي التجار فاستعد لذلك ان كنت عازماً ، قلنا له : كيف السفر ولا مواصلات ولا طرق معبدة ولا توجد سيارات تعبر هذا الطريق ؟ فقال : السفر على الابل من هنا الى المدينة المنورة وسيكون طويلاً وشاقاً بالنسبة لك وأما بالنسبة لنا فنحن أبناء الصحراء والجبال . والمهم ، أن تذهب الى سمو الأمير تستأذن منه وتطلب السفر الى المدينة وما عليك من الزاد والراحلة كل الأمور سهلة .

خرجنا من بيت ابن غريض وتوجهنا في الحال الى الأمير ابن سلطان وعرضنا عليه ما قاله ابن غريض ، كما طلبنا الاذن منه والسماح بالسفر ، قال الأمير ، الله يوجه لك ، وزاد الطريق وراحلتك عندنا .. علم ابن غريض بذلك .

رجعنا الى ابن غريض وأخبرناه بمقالة الأمير فقال : هذا ما كنت أتوقعه .

دعينا للغداء عند الأمير ، وللغشاء عند ابن غريض حيث أدب للأمير مأدبة فخمة حضرها جمع من الاخوان والموظفين وكانت ليلة جميلة ليلة الوداع ، وفي الصباح أعددت نفسى للسفر ، وحزمت حقائبي ، وذهبت الى رحبة المسافرين وهي المحطة التي يسافر منها السياح وتقع الى الشمال من دار الامارة وذهب معي الشيخ أحمد فراش وسائر الموظفين وجدناهم في الرحبة وابن غريض وصحبه وسمو الأمير ابن سلطان ، والكل جاءوا لوداعى ووداع ابن غريض وصحبه .

كان أحد مستشارى الأمير واقفاً على ناحية من نواحي الرحبة وأمامه (بكرة) محملة بالحقائب ذات الهداب الذى كأنه الدمقس المفتل كما كان عليها قرية ماء معلقة على أحد جوانب (القتب) وياعجباً من كورها المتحمل ، ثم أسر الي ابن غريض ببعض القول فنادانى بعد الحديث وقال : هذه راحلتك الى المدينة ان شاء الله توصلك وترجع معنا وهى من عند سمو الأمير وما عليها من زاد وهدايا هو لك فما كان منى الا معانقة الأمير وتقبيل ما بين عينيه وتقديم آيات الشكر له ولآل سعود .

رحلنا من تبوك يوم الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة الحرام عام ١٣٥٧ وكانت القافلة مكونة من عشرة رجال أنا عاشرهم ، وكلهم على الابل وأميرهم الشيخ عبد الله بن غريض، وسافرنا على بركة الله ممتطين ظهور الابل وكان سيرنا ما بين الخبب والاعناق ، حتى قضينا معظم النهار ، ثم نزلنا عند حلول الأصيل بأحد الأودية حيث تيمنا وصلينا الجمع ثم أكلنا قليلا مما لدينا من محفوظات ومعلبات وقهوة من الزمزميات ، وماء قليل شربنا ، ثم أوكينا المزادات وامتطينا ظهور الرواحل حيث أرقلنا فى السير حتى داهمنا الليل وقد توسطنا أودية الظلام ومسالك الجبال فألقينا الرجال ، ونزل الركب حيث أراحوا المطايا ، وجمعوا كلاً وحطباً فأعلفوا الدواب وأوقدوا الحطب وعجنوا العجين بما عندهم من ماء وعملوا الملة وأغلوا بعض الماء لعمل القهوة والشاي ، ثم امتلوا العجين حتى اذا ما امتل أخرجوا ما عندهم من جبن وتمر وتامك وأطعمونا الموجود ولم يفسحوا لى المجال لأخرج ما فى الحقائب مما زودنيه الأمير ، ثم قال لى أمير القافلة ابن غريض : تفضل كل من هذا الجبن والتامك

والتمر . فقلت : لا أستسيغ التامك فقال كلاهما وتمراً (١)
ولا تفكر في حل حقائبك حتى نصل المدينة إن شاء الله ، أو لا سمح
الله نكون قد استنفدنا زادنا جميعه ثم نرجوك العفو هذه الليلة
اذ لم نتمكن من صيد شيء من صيد البر لضيق الوقت كما أننا
ما مررنا بأخبية اخواننا من البدو الرحل ، انما من بعد يومين
أو ثلاثة نحل قريباً من بيوت الشعر التي يقطعونها في الخلاء
ويخملونها في الظعن والارتحال وكان الأمر كذلك ، اذ بمنجده
سفرنا من المرحلة الثالثة بدأت تلوح لنا عصى المخيمات وبعر
الأرام والأنعام كما مررنا ببعض الغدران والأحواض التي كنا
نروى رواءنا وتنطهر أحياناً منها ونطبخ طبيخنا . وكان سيرنا
من طريق الابل وأحياناً بمحطات السكة الحديدية التي اقتلعت
قضبانها وتكسرت عرباتها ، ابان الحرب العظمى الأولى لكن
لا زالت مباني المحطات قائمة لم يصبها ما أصاب الخط الحديدي
من عفاء وطمس . وهذه المباني نمر عليها نهاراً ، ولم نمكث بها
مطلقاً وكنا نتمنى أن نمر بها ليلاً لتتقى بها كلب الشتاء أو

(١) التامك هو السنم ويقصد ابن غريز بذلك ضرب المثل وكنت
لا أعرف مقصده حتى اذا ما تبسم عرفت قصده ، وفيما بعد علمت أنه
يحفظ معظم الأمثال العربية كما يحفظ قصيدة بانت سعاد بكاملها ويحفظ
الشيء الكثير من الشعر الجاهلي .
وأصل المثل العربي (كلاهما وتمرا) وفي بعض الروايات ، (كليهما
وتمرا) فمن رفع كلاهما أى لك كلاهما ، وتمرا منصوب على أنه مفعول
لفعل محذوف أى وأزديك تمرا ، ومن روى كليهما فانما نصبه على معنى :
أطعمك كليهما وأزديك تمرا ويضرب هذا المثل فيمن يطلب شيئاً فتعطيه
اياه مع زيادة على ما طلب بدليل أن السائل طلب زبداً وسناماً فقال له
المسئول وتمراً ، أي وأزديك على ما طلبت تمراً .

نبتعد من عواء الذئاب والضباع التى أقضت مضاجعنا فى معظم الليالى لأن مبيتنا كان بالعراء .

الصيد

رجال القافلة معظمهم من الرماة والقناص ومعهم بنادق الصيد علاوة على السلاح الذى يحملونه ، وما من يوم يمر الا ونصطاد ما يمر بنا من أرانب أو حباريات وأحياناً سمانى وأسراب القطا ولا يصيدون الا بمقدار الحاجة واذا وثقوا أنهم سيمرون بخباء مما يعرفون ، لم تحدثهم أنفسهم بوضع أصابعهم على الزناد وهذا مما زادنى فيهم اعجاباً ، وكانت أرانب الشمال عبارة عن سخال من صغار البهم اذ يزن الأرنب الواحد أحياناً سبعة أرطال أو حوالى الثمانية وأما يمام الحجلة فكثير والقمارى والوراشين التى تسجع على أغصان الثمام والأثل وبعض الأيكة والسرح فعلى طول الطريق .

سألت ابن غريز : لماذا لا نسرى ليلاً ونستريح نهاراً ونجعل القيلولة كلها للنوم بدلاً من نوم الليل الذى يعرضنا للصرد والذئاب والنوم بالعراء ، وفى النهار أحياناً نجد مبانى المحطات الخاصة بالسكة الحديدية نظيفة ولا نحتاج الى كبير عناء ؟ فقال الرجل ، بكل صراحة : لا تسأل عما ليس لك به علم ونحن أدرى بالطريق ، ولا خوف علينا من الذئاب ما دام معنا سلاحنا، أما لو سرينا بالليل فى هذا الشتاء القارس لمتنا من شدة القر ولنفتت الدواب أما تعريسنا بالليل ومبيتنا بالصحرَاء فهو أسلم اذ نوقد النيران حولنا ونكون نحن رواحلنا فى دفة وأما النهار

فبطبيعته يساعدنا على المسير ويمكننا من رؤية المياه والآبار
ومعالم الطريق .

على ظهر الكتيب

و ذات ليلة نزلنا على حى من أحياء بنى عطية القاطنين في
البيوت المحفوفة والمظلمة بالكلل والقرام والمعمدة بالعصي وكان
صاحب الخيمة من أصدقاء رئيس قافلتنا فذبح له وأعلن القرى
وعجله فحضر لفيف من الأعراب المقيمين في تلك الأنحاء
والأودية . وبينما نحن فى تناول العشاء اللذيذ اذ أقبلت بنت
المضيف ومعها قطيع من الأغنام وكأنها كانت تنفسها لأنها جاءت
بها فى وقت متأخر من الليل فسألها ابن غريض بعد ما سلمت
وحيث الضيوف سألها عن سبب تأخرها فقالت : ما كان فى النهار
من رعي (١) لأن الثلوج كانت ساترة على الأعشاب فجعلتها
تشم (٢) وتفرر حتى دفعت بعض الجليد عن بعض الأعشاب
الصالحة للرعى وقد دهمنى الليل فلهذا نفشت الغنم . وكانت
فصيحة جميلة جريئة مبرقة الوجه ببرقع بدوي الا أن البدر
الحقيقي هو برقه وأهم ما فى المسألة هو اصطحاب كلب السلق

-
- (١) يعنى ، ما هناك أعشاب ترعاها الابل والرعى هو العلق بفتح العين .
(٢) تشم أي ترعى الثمام وهو نوع من الأعشاب التى ترعاها الابل .
تفرر : أي ترعى الغرار وهو نوع من الأعشاب ترعاها الابل أيضاً .
النفش : هو الرعى ليلاً ومنه الآية الكريمة (نفشت فيه غنم القوم) .
الكتيب : الأرض المجتمعة المرتفعة على ما يشابه الهضبة قال امرؤ القيس :
ويوماً على ظهر الكتيب تعذرت علي وآلت حلقة لم تحلل

للغم والحسنة اذ هجم علينا فى دار الضيافة وصار يبصص
ويتمسح بالضيوف فنفرت وهرعت الى كتيب كان أمام الخباء
فلحقنى يشمى ويصص وكأنه يعرفنى فصحت مستغيثاً لأنى
عدو الكلاب وهى عدوة لى فلحقنى المضيف وطرده الكلب فأخبرته
بخوفى من الكلاب حتى ولو كانت ذكية ثم جاء ابن غريض
وأقنعنى بنظافة (السلق) وعدم تلوثه وأنه أنيس ومهذب
ويأكل مع القوم من النصعة التى يأكلون منها كما يشرب من
أقداح اللبن معهم ، وينام بجانبهم وقد اعتاده البدو والفوه
كانه أحد أبنائهم فقلت : معذرة ، كلوا معه واشربوا هنيئاً
ودعونى على ظهر هذا الكتيب أقضى ليلتى لأنى أنكر الكلاب
وأخافها وأنقر منها حتى لو حكم بطهارتها ونظافتها ، فجعل
ابن غريض يهدىء من روعى ويربت على كتفى ثم قال لأهل
الخباء : سلسلوا الكلب حتى تنقضى الليلة فقالوا : لا أثر للسلسلة
عندنا ولو وجدت وسلسلناه لمات غيظاً وكمداً .

فقلت لابن غريض : أنا أرجوك أن تبقينى هنا على هذا الكتيب
حتى يطلع الفجر ، انى قد تمشيت وصليت وتقهويت وسوف
ألتحف العباءة وما هى الا ساعة ويطلع النهار وتنتهى المجاملة
ونرحل وصممت على ذلك على الرغم من جميع المحاولات فأقرنى
القوم على ذلك ، وما الكتيب عن الخباء ببعيد ثم نفذت خطتى
حتى أيقظنى بعض الرفاق وقد لاح الفجر وغابت الحسنة مع
كلبها وأغنامها فحمدت الهى اذ أبعد الكلب عنى فصلينا الصبح
وتناولنا طعام الافطار وكان عريكة مبسوسة بالسمن والتمر ثم
تقهوينا وامتطينا مطايانا وسرينا .

ليلة في المطر

وذات ليلة أصابنا مطر شديد فبلل رحالنا وأبرد أجسامنا فتلحفنا بما معنا من الجعد الشعر والعباءة الثقيلة وسلمنا الأمر لله الواحد القهار اذ كلما نقول يارب كفاية ورحمة ، تجود السماء بماء منهمر حتى سالت الأودية ومشى الماء في الأرض وغاصت أخفاف الابل واستعلى الماء على مناسمها وما بقيت صاعقة الا وشنفت أسماعنا بارزآمها ولا ودق الرواعد جودها أو رهامها الا وصابنا انهمارها وريح الشمال ترجى علينا جامد البرد ، وكادت أرواحنا تزهق وكرب القلب من شدة الصواعق يذوب ويكاد البرق يخطف أبصارنا وكلما أضاء للمطايا سرت قليلا ثم توقفت ، وكاد ضوء البرق يعشى الناظرين ، ويكاد الليل ينتهى ونحن نبتهل الى الله أن يأمر السماء بالاقلاع والأرض بالابلاع ، وقطع الليل المظلمة بالتبدد والتفرق وقد استجاب الله الدعاء فأقلعت السماء وغيض الماء وأشرق نور الصباح ونحن على ظهور الابل طاوين من الجوع وقد فاتنا العشاء وارتعشنا من البرد وتبللنا من المطر ، فأوينا الى هضبة معشبة ونزلنا عن ظهور المطايا وتوضأنا وصلينا الصبح قضاء وخلعنا ثيابنا المبللة وجففناها وأنضينا كل الملابس التي علينا وبدلناها بما في الحقائب الجلدية مما لم يمسه بلل وماء ثم أخرج القوم دقيقتهم وتمورهم وسمنهم وأوقدوا النيران وصنعوا العصيد فتناولنا طعام الافطار الدسم الذي أزاح مرارة الجوع واقتلع جذور القر من جسومنا ، ثم تناولنا المشهيات والمنبهات بعد ما أخذت الابل حظها من العشب ، فعاودنا سيرنا وقضينا نهارنا حتى أظفلت

الشمس وغاب شعاعها وبدأ النعاس يداعب الجفون لأننا حرمنا من المنام في الليلة السابقة ، فأخذنا على سفح الجبل وتراكم القوم لجمع الحطب فجمعوه ثم أوقدوه وأتوا بعد ذلك بعدس وأرز وطبخوه في قدرين وصبوا عليه من السمن فتعشنا وتقهوينا وصلينا الجمع ، ثم نمنا ليلة هادئة وأصبحنا كعادتنا في الغلس وانغمسنا في الوضوء والصلاة والافطار وما أشرقت الغزاة الا ونحن على قارعة وادى المعظم أول مرحلة لدخول مدائن صالح .

السييل الكبير

وبدأت الغيوم تمور في الأفق والرياح تزجي سحباً ثقلاً وبدأ النسيح يهب وكأنه من أفواه الثلاجات ، أو من جوف الزمهرير فقال القوم : نخاله سيلاً مقبلاً أو ماء سينهمر من السماء فتسيل الأودية والشعاب ولا بد من أخذ الحيطة بأن تأوى الى جبل يعصمنا من السيل الذى لا نشك أنه داهمنا بين لحظة وأخرى فأسرعنا فى السير وقد كلت رواحلنا وبالأخص ناقتى الفتية ، فحثتها حتى أسرع حتى طارت بنا حيث آوينا قبل الهطلان فوصلنا جبل (براعم) وأنخنا بسفحه وكان الوقت أصيلاً لكن السماء قد حلكت وما هى الا لحظة حتى داهمنا السيل العظيم جائياً من شعاب وسهول أودية المعظم الشمالية فتسلقنا نيقاً من أنيق الجبل وطردنا الأبل معنا فأرقلت وتسلفت وصرنا لا نرى الا رعوس الجبال وقد تزلزلنا وتدنرنا بعبأتنا وجعادنا حتى خفت حدة السيل وقد دخل الليل ولا حطب لدينا ولا غشب فتوضأنا من ماء السيل وصلينا المغرب والعشاء وتعشنا من

التمر والحمص والجوز والفواكه المجففة ، وأغمضنا العيون
وتلحفنا بما عندنا وحمدنا الله على السراء والضراء .

صاحب الفرزدق

وبينما نحن في أول النوم إذ بعواء يدوى صدهاء بين شعاب
الجبال فانتبهت مذعوراً بين الخوف والرجاء ، فمرة يغلب على
ظني أنه عواء ذئب فأزداد ذعراً ووجلاً وتارة يغلب على ظني أنه
عواء كلب فأرجو البشارة وأقول في نفسي لعل رعاة أغنام بجوار
الجبيل الذي نحن بسفحه أو أعراباً متنقلين وهذه كلاهم تعوى
فمرة يغلب الشك على اليقين ، وتارة يغلب اليقين على الشك
وبينما أنا في تفكير عميق إذ بالعواء يزداد ويقترب ولم أدر إلا
وأحد الرفاق نهض قائماً فقلت : ما دهاك ؟ وما الذي حملك على
الفزع واني لأكتنم ما بى من خوف وأتجلد وأكرر قولي فقال
الرفيق : هذا السرحان (الذئب) وصل إلينا وهو جائع يطلب
زاداً وليس عندنا من لحم أو قوت له أو نار تفزعه فيهرب ولعله
ان ازداد به الجوع يهجم على أحدنا فيفتسه .

ومن عادة الذئب إذا عوى كثيراً تهوى وتهرع إليه الذئاب
فيهاجمون الفريسة جمعاً وهذا الشعب الذي نحن فيه مسبعة ثم
أفضى إلى بندقيته وحشاها رصاصاً ووضع يده على الزناد واستلقى
مطمئناً وقال : هذه ليلة نتعاقب فيها النوم ولا أمان للسراحين
الجائعة وكان يقص علي قصص الذئاب ويصف شراستها وغدراها
وكنت بدأت أنهار تدريجياً ثم تحاملت على نفسي وتجلدت وقلت
له بصوت خافت : ولم أنختم في هذا الوادئ المخيف وعرضتمونا

لهذه الأخطار ؟ فقال : الضرورة أوجبتنا وقد رأيت بعينك ما كان من أمر الغيث والسييل ولو سرينا لفاجأنا سيل أعظم مما رأيت وقد دهمنا الليل ولا حيلة لنا الا حط الرجال بهذا المكان حتى ينبلج الاصبح ، يقول هذا وقد بدأ الكرى يغلب على صاحبي فجعل يهذى هذياناً حتى غمضت عيناه دفعة واحدة فوكزته بيدي من شدة الهلع وقلت له : أين التعاقب والتناوب ؟ ورجوته أن يطلق رصاصة في الفضاء ليخيف الذئب الجائع فقال : ان أطلقت رصاصة زاد العواء وقد نهажم ولو أن عندنا بعض الاضاءة تمكنا من الابصار لقتلت الذئب ولكن الظلام الحالك يحول بيننا وبين صيده ومالنا الا الصبر والتسليم حتى يلوح النور أو يعده الله عنا ثم أغمض عينيهِ وأسلم قياده لسلطان الكرا وغط في النوم فانكبت على وجهي وألقيت على ظهري العبادة الثقيلة ووضعت الحقائق على ظهري ومؤخرى وعلى رقبتى ، وأيقنت أنى هالك لا محالة ولو كنت أعلم الرماية لأخذت احدى البنادق أو على الأقل بندقية الرجل الذى ملأنى رعباً وشحن سلاحه بالرصاص ووضع يده على الزناد ثم نام يشخر شخيراً وتركنى لسيد الفضاء. أي والله لقد التقيت بالموت المحقق فى تلك الليلة الليلية ، تلك الليلة التى لم يغمض لى فيها جفن ولم يسكن لى فيها جنب وصرت أستعرض قصص الرجال الذين افترستهم السباع والذئاب وفيما لو صح هجوم الذئب علي من بين القوم ، ولقيت حتفى ياترى ماذا يقول رفاقى لأهلى أأكله الذئب ويأتونهم بشياىى المطلية بأرجوان أو بدم قانىء خاضب ؟ وهكذا دواليك بين الحق والباطل أو بين الحقيقة والمجاز حتى جاز الليل وما صدقت أن أمكث حياً حتى ينتهى ، لكن الله سلم ، فقد انكشف الظلام وبدأ

القوم يثوزون واحداً تلو الآخر فقمنا للصلاة وأخذنا في أسباب الرحيل وما ان أشرقت الشمس حتى تستمنا رواخلنا وحمدنا الهنا على السلامة ، وهذه الليلة الثانية من الرحلة الشاقة التي لم أذق فيها نوماً حتى ولا غراماً أو مضمضة وأنى لى به وأنا بين براثن الذئب وكلب الشتاء والطل .

سقنا المطايا حتى صار سيرها ارقالا وأقبلت الظهيرة الجميلة وكان الجو صحواً فأدخل كل من الرفاق يده في جيب حقائبه وأخرج ما يقضم أو يسف لسد العوز وبلل الزوز سلفة ولهفة تعليلاً وتصبراً ، ففعلت كما فعلوا وكانت حقائبى مكتظة بالفسق والجوز المقشر والحلوى ، فاستفقت وقضمت حتى دنا العصر ، فنزلنا للتيمم والصلاة ثم عاودنا المسير وقد طرد القوم مطاياهم حتى أهطعت فطارت الركاب اهطاعاً خوفاً من دخول الظلام أو مفاجأة السيل قبل وصولنا محطة (خنزيرة) وللضرورات أحكام ، فوصلنا لله الحمد المحطة مع غياب الشمس فنزلنا وألقينا رحالتنا وانتشر القوم ، بعضهم توجه ليصيد ما نتعشى به وبعضهم لجمع الحطب والآخر للماء حيث توجد بئر عميقة بها ماء عذب غير آسن وما هى الا لحظة حتى جاءوا بالقرب ممثلة ماء قراحاً زلالاً وبأحمال من الحطب وكمية من القطا والأرانب وأنا وابن غريض ما علينا الا مناشدة الأشعار والتعرف على أسماء الجبال والأمكنة لأن الرفاق تكفلوا براحتنا اكراماً واجلالاً ، أما ابن غريض فلكونه كهلاً ورئيساً للقافلة ، وأما أنا فلغربتى وتوصية الأمير علي فلذلك كنت محل الاكرام والتبجيل من القوم ، ولم أكلف قيد شعرة بل ربما أقوم لمناولة بعض الأغراض فأمنع ، وهكذا كان مسيرنا ورحيلنا من محطة الى

محطة ومن واد الى واد ومن حرة الى حرة حتى كانت المرحلة العاشرة وبدأت تلوح لنا معالم (المدائن) مدائن صالح الكبرى، وبدأنا نسجل أسماء الأمكنة والسهول وبدأنا نلج الكهوف حتى أتممنا الرحلة الخامسة عشرة حيث ولجنا (الحجر) وقطعناه عرضاً حتى دخلنا (العلا) .

(العلا)

قال أمير القافلة : ندخل العلا نسلم على أميرها ونلقى حقائبنا بدار الضيافة ثم نبدل ثيابنا ونأخذ الأهبة لمجوب الحجر والكهوف، وفعلنا دخلنا البلد وسلمنا على الأمير وهو (ابن هذيان) بضم الهاء أو كسرهما وفتح الذال وفتح الياء المشددة بعدها ألف ونون ، وهو أمير العلا وقتذاك من قبل الملك عبد العزيز رحمه الله ، سلمنا على الأمير وأخذنا الراحة الكافية وقد أدب لنا سموه مادية كريمة ثم زودنا بكل ما نحتاجه من أدوية ضرورية من اسبرين وقطن ونشادر ومعلبات وقهوة وحلوى . ثم بدأنا رحلتنا في الحجر التي استغرقت شهراً كاملاً حيث نقضى ليلنا بالعلا ، ويومنا بالحجر حتى أتينا على ثلاثين جبلاً من أشهر جبالها وولجنا كهوفاً كثيرة على نحو ما ذكرته في أول الكتيب في باب المقارنة والتطبيق ، فارجع البصر اليه ثانية وثالثة حتى ترتسم في مخيلتك أرض هذه البلاد العجيبة التي جعلها الله عبرة لنا وموعظة .

كان القاضي بمدينة العلا وقتذاك : الشيخ ضياء الدين رجب رحمه الله ، ومدير اللاسلكي والبريد رجلاً من آل جمل الليل ومدير المدرسة الشيخ المارديني أو الأستاذ البيومي والأستاذ المساعد

(شحات) من أهل المدينة المنورة وعدد التلامذة بالمدرسة
السعودية ١١٦ تلميذاً .

ومدينة العلا تنقسم الى حارتين عظيمتين (الحلف) بكسر
الحاء وسكون اللام بعدها فاء ، ثم حارة (الشقيق) بكسر الشين
المشددة وفتح القاف وكسر الياء المشددة بعدها قاف وفي هاتين
الحارتين يسكن أهل البلد جميعهم ودكاكينهم في عرصات دورهم
أو داخل الدهليز ولهم أوقات معينة يفتحون فيها أبواب بيوتهم
للبيع والشراء في الصباح وفي المساء ، فإذا جئت لشراء حاجة
في غير الأوقات المعينة تجد باب البيت مغلقاً وما عليك الا أن
تقرع الباب قرعاً شديداً حتى يجيبك التاجر من نافذة البيت ان
كانت له نافذة على باب البيت والا أجابك من الداخل بقوله
(من هو ؟) بفتح الميم ، هذه الجملة لا تتغير ولا تتطور يستعملها
التاجر الكبير والتوجير الصغير ، فإذا كنت زائراً قلت (زائر)
وإذا كنت تريد شراء حاجة تقول (شارى) بمعنى مشتري في
لغتهم ، وله الخيار ان شاء نزل وفتح الباب وان شاء امتنع ، الا
إذا كانت الكمية كبيرة فتعلمه بها من تحت النافذة التي تطل
على باب الدار اذا أجابك البائع من تلك النافذة .

والدكان هو قسم من الدهليز يجعل فيه الرفوف ويفصله عن
ممر السلم حاجز خشبي قوي كما تجد التاجر جامعاً لكل الأصناف
التجارية ، اذ تجد تاجراً واحداً يبيعك البن (القماش) والسكر
والقهوة والزبد والتمر والجبن والخيوط والحريز والعطر الخ
ما تريد من أنواع ما عدا اللحم والفاكهة والخضروات .

ومعظم تجار البلدة من أهل نجد وتيماء واللغة الدارجة في
العلا هي النجدية ويوجد القليل من المدائنيين ، وبها غيون

كثيرة وآبار صالحة وآبار معطلة لا حاجة اليها لكثرة ما بها من ماء ، وأرضها خصبة جيدة التربة وأكثر ما يفرس فيها النخيل والأترج والليمون بأنواعه والفواكه والخضروات وأكثر صادراتها التمر وهو أنواع أجودها البرني والسكري ، وأما الليمون السكري فحجمه يوازي حجم البطيخة الصغيرة وهذا ما تمتاز به العلا على سائر البلاد الزراعية .

ويكثر بها الذباب والبعوض مع كثرة المياه والزروع ، وذباب العلا يضايق السياح والعابرين في الطرقات حتى أنك لتحتاج مندبلا يكون بيدك تطرد به الذباب حيثما كنت وأينما كنت ، وإذا دعاك داع لتناول قهوة بداره أو طعام عشاء أو غداء ينصب لك (ناموسية) بحجم المجلس حتى لا تتضايق من الذباب أو البعوض .

وإذا قال لك الداعي : (حياك الله على القهوة) في ساعة كذا معناه أنك تستعد لتناول وجبة كاملة فقد دعينا مع بعض الرفاق وأخص منهم الشيخ ابن غريز الى القهوة وكانت حفلة مصفرة جميلة ، تجمع بين أنواع التمر والزبد والسمن واللبن الحازر وذى الدسم والأصفر المبهر وأطباق من الفاكهة ، وإذا كانت الدعوة لغداء أو عشاء فلا تقل عن الحروف وما يتبعه على حسب شهرة الداعي ، وأما اذا دعاك شخص من سكان الحجاز وأعنى بذلك من كان من أهل مكة أو المدينة أو أى مدينة حجازية فيتبع تقاليد تلك البلاد .

وهناك حارة ثالثة بالعلا هى المحطة التى بها سكنى أمير البلاد وبطانته وسها محطة السكة الحديدية . هذه أنقى هواء من داخل البلد ويقل يهبا الذباب والبعوض ، وليس بها مبان

سوى مباني الامارة ، مكثنا بالاعلا شهراً كاملاً ، ولا حظ لنهاره
عندنا مطلقاً اذ بمجرد ما ينبلج نور النهار نمتطي دوابنا من
حمير أو بغال ونأخذ زادنا وماءنا وقهوتنا وشايانا المعبأ في
الزمزميات ثم نتوكل على الله ، والمراد بالزاد ما كان أوساطاً أو
محفوظاً بالمعلبات أو الخبز المقدد والجبن والتمر ، وأحياناً تصلنا
طبخة جريش أو مرقوق اذا علمت الامارة موقع الجبل الذي نريد
أن نلج كهوفه من أرض الحجر اذا كان دانياً كما نأخذ كمية من
الأدوية الضرورية التي نحتاج اليها داخل المغارات مثل النشادر
والاسبرو والسبيرتو الأبيض وبعض المراهم والفكس والقطن
المعقم والليمون والحبال والزمارات التي يعلقها الكشافون في
نحورهم والسلاح اللازم لقتل الزواحف ، والحيوانات الكاسرة
التي تأوى بداخل الكهوف أحياناً .

وكنا اذا وقفنا على باب الكهف يقف أحدنا على الباب ويمد
يده الحاملة للمسدس أو البندقية ثم يطلق رصاصة أو رصاصتين
ثم يرجع الى الوراء ثم يعاود الكرة حتى يغلب على ظننا أن ليس
هناك خطر ، ثم يتقدم أشدنا قلباً فيلج المغارة حتى اذا ما تيقن
نظافتها وخلوها من الأخطار ، صفر بزمارته مرة أو مرتين .

بعد ذلك نبدأ في الولوج ونمكث بها باحثين منقبين مصورين
حتى اذا ما انتهت مهمتنا ذهبنا الى غيره من الكهوف وهكذا حتى
أتينا على معظم كهوف الجزء الجنوبي من الحجر ، وهذا الجزء أخذ
منا وقتاً طويلاً حيث انتهى الشهر ولم نقف الا على ثلاثين جبلاً
وعلى بعض الصخور المنقوشة المنحوتة كما مر ، أما القسم الشرقي
والشمالي فمررنا بهما وأنخنا على عدة كهوف منها حين الدخول
من الشام ولم نقف على الشيء الكثير من هذين القسمين ولو

قطعتنا الحجر عرضاً لاحتجنا الى مسيرة أربعة أيام على الابل على الأقل .

ولا يتوهم السائح أن الحجر هو ما كان بحذاء محطة السكة الحديدية ، بل الحجر يبدأ من شارع السلطان المحاذى لجبل (عشبة) (١) بضم العين وسكون الشين وفتح الباء بعدها تاء مربوطة وهو جبل صغير عند مدخل الحجر ، تحيط به أعشاب مختلفة ، ثم انك اذا قطعت مرحلتين عرضاً من الحجر تصل الى قرية (الكاتبة) التي بها صخرة الناقة التي انفلقت وخرجت منها آية الله ، ثم تمشى بعدها ساعة على الأقدام حتى تصل الى ضاحية (الناجية) وهي التي بقربها كانت البئر التي يسمح الشارع بالشرب منها وما عداها من الآبار فممنوع .

أما مدائن صالح فتبدأ بعد مرحلتين من تبوك مباشرة وليس بها كهوف الا نادراً حينما ترى جبلا منفصلا جائماً في أحد الأودية .

قضينا ٦٠ يوماً في مدائن صالح و ٣٠ يوماً في الحجر الذي هو عاصمة المدائن على نحو ما ذكرناه سابقاً - ما بين العلا والحجر - ومع ذلك ما أتينا الا على العشر من الكهوف والجبال المنحوتة والأمكنة الأثرية على الرغم من المساعدة التي حصلنا

(١) جبل عشبة لم نذكره في الجبال التي مرت بنا سابقاً في القسم الأول ولا في الثاني لأنه غير منحوت ولا منقوش وليس به أي منظر يستلزم الكتابة مع أنه في مدائن صالح وكذلك جبل (الأشعر) بديار ثمود ولم أذكره فيما ذكرت من جبال لعدم وجود كهوف فيه واكتفينا بالأهم .

عليها من امارة العلا والتسهيلات التي ساعدتنا وشجعتنا على المضي في البحث والتنقيب .

ولا تنس أننا عصبة مسلحة مزودة بكل أدوات الرحلة ، وكلنا شبان أقوياء ليس فينا هرم ولا كهل سوى أمير القافلة الشيخ ابن غريض الذي كان ينتظرنا عند باب الكهف أو سفح الجبل الذي نريد أن نتسلقه ، وأما رفاقه الذين كانوا معنا في القافلة فهم من بنى عوف (١) وجهينة ورجل من الحويطات والبقية من بنى عطية وقد يكون رئيس القافلة منهم على ما أظن ، وأما الجمعة فنقضيتها بالعلا ولا نرحل فيها مطلقاً للاستجمام والراحة ، والليل نقضيه عند اخواننا الموظفين بالعلا الذي مر ذكرهم أو عند سعادة الأمير لكننا لا نطيل السهر لأجل مهمتنا السياحية التي تبدأ مع الاسفار كل يوم .

(الرحلة الى المدينة)

وبعد أن انتهينا من رحلة الحجر ومدائن صالح استأذنا سعادة الأمير (ابن هذيان) أن يسمح لنا بالسفر الى المدينة المنورة فأذن مشكوراً بعد ما قدم لنا كل التسهيلات وأكرمنا بما هو أهله واحتفى بنا أكثر مما كنا نظن .

وكانت رواحلتنا قد تربعت مع ابل الامارة ولم ندر عنهما شيئاً لأن الامارة أعطتنا رواحل صالحة لجيوب الحزون والسهول

(١) بنو عوف هم بطن من ثقيف - من هوازن - من العدنانية ويقال لهم بنو عوف بن ثقيف .

من حمير وخيل وجعلت أنعامنا تنفش وترعى مع أنعامها طوال
المدة الربيعية فلما أذن لنا بالسفر أصدر الأمير أمره باحضار
زواملنا فحضرت وجهزت أحسن جهاز واستلمنا (المكافآت)
وسافرنا مع القافلة الآتية الذكر والتي يرأسها ابن غريض .

كان رحيلنا من العلا ضحى اليوم العاشر من ربيع الأول
عام ١٣٥٨ هـ - قطعنا اليوم كله سيراً عنقاً ونزلنا قرب العصر
للتيمم وصلاة الجمع وعاودنا المسير حتى بدأ الظلام ، ثم نزلنا
لصلاة المغرب والعشاء جمعاً ثم عاودنا المسير حتى مضى الثلث
الأول من الليل ثم نزلنا وأوقدنا للطبخ والدفع ثم النوم حتى
الصبح حيث نهضنا للصلاة وعاودنا المسير ، حتى أشرق الضحى
ثم نزلنا للافطار والقهوة ثم عاودنا سيرنا الى المساء حيث نزلنا
للافطار والقهوة ثم عاودنا سيرنا الى المساء حيث نزلنا على خباء
من أخصية العرب ، صاحبه من أصدقاء ابن غريض فدبح لنا
وأعلن القرى وكانت ليلة ممتعة حقاً .

ثم عاودنا سيرنا وقد صاد القوم ظبيين جعلناهما للعشاء ،
وواصلنا السير حتى جاء وقت التعريس فنزلنا وعرسنا وشرع
القوم فى سلخ الظباء ، وأوقدوا النار حولنا وأنزلوا القدور وظل
طهاة اللحم من بين منضج صفيف الشواء أو قدير الندى ، أو
السليق كل على حسب مزاجه ، وقد كان الرفاق حائزين أوسمة
الطهي ، وهكذا حتى بدأنا نرى أودية هدية الكبرى .

ويلاحظ أن هذا الاسم تكرر - فهناك هديتان - سهول
هدية الأولى وهى التى على ثلاث مراحل من تبوك ، والهدية
الثانية هذه وهى ما بين العلا والمدينة المنورة ، وهكذا واصلنا
سيرنا الى المدينة حيث استغرق الرحيل ستة عشر يوماً على الابل

ولم نجد الماء ، الا فى ثلاث محطات فقط ، والباقى حشارج
وغدران ماؤها آسن .

(صدق الله)

(صدق الله وأخطأ معاوية) هذه الجملة الخالدة قالها معاوية
رضي الله عنه ولا يسع كل سائح الا أن يقولها وأنا قد قلتها
مراراً فى تجوالى بهذه المدائن لأنك لا ترى الا أشباحاً ورسوماً
وكهوفاً وأرضاً سابخة وهضاباً نائمة وحراراً مسودة وآباراً
مطمورة وزروعاً محروقة ولو أردت أن تطبق بين الماضى والحاضر
لسولت لك نفسك أنك حالم أو متخيل أو واهم كما حصل
لمعاوية بن أبى سفيان لما حج فى زمن خلافته ومر على مدائن صالح
وختم بواذى القرى (العلا) قال أين الزروع والنخيل وأين
المياه والعيون وأين الجنات والفواكه والله سبحانه وتعالى يقول فى
أهل هذه الديار (كم تركوا من جنات وعيون) ؟ فقال له رجل
من أهل وادى القرى كان خبيراً بعلم طبقات الأرض أو علم
الجيولوجيا : والله يا أمير المؤمنين كلها موجودة ولكن الله طمسها
على القوم ولو شئت لاحتفرت لك أكثر من أربعين عيناً فقال
لعامله هناك : دع الرجل يكدها ويحتفرها فننفذ أمره وما إن
رجع معاوية من الحج حتى وجد ثمانية وأربعين عيناً قد احتفرت
بالعلا وفى رواية ثمانين عيناً فقال معاوية رضي الله عنه : صدق
الله وأخطأ معاوية . ونحن نقول الآن ما قاله معاوية ولو أردنا
أن نبرز هذه الحقائق الى الوجود لجلبنا علماء طبقات الأرض
وعلماء الآثار من جميع أنحاء العالم حتى تبرز الآثار للعيان

وكذلك تتفجر العيون وما ذلك على همة الرجال بعيد .

خلاصة التحقيق

أ - الحدود الأولى التي ذكرها المفسرون والمؤرخون والنسابون والتي تبدأ من حدود الشام وفلسطين الى سواحل الحجاز وعدن والحبشة هذه لا وجود لها ولا معالم ترشدنا اليها اللهم الا النزر القليل من بعد وادى المعظم الى الحجر الكبرى وكلها محصورة في بعض الجبال المنحوتة والشعاب الصغيرة .

ب - المدن التي ذكرها المفسرون والمؤرخون والتي تربو على مائة ألف مدينة وكلها لقوم ثمود ، وتبدأ من حدود الشام الى سواحل الحبشة ، هذه أيضاً لا وجود لها .

ج - الزروع والنخيل والحدائق والعيون والآبار والأرض الخصبة ، أيضاً لا وجود لها الا ما ظهر لك من بعض النخيل المحروق في المناظر التي مرت بك ، ولا يسعنا في هذا الشأن أن ننفي ما أثبتته القرآن والحديث والتاريخ من أنه كان لقوم ثمود جنات وزروع وعيون ، لا يسعنا الا ما وسع معاوية حينما قال : صدق الله وأخطأ معاوية . وخاصة بعد ما احتقر له الرجل الجيولوجي ثمانية وأربعين عيناً بوادى القرى (العلا) .

د - آثارهم التي كانت موجودة في أيام دولتهم وهذه تتلخص فيما هو منقوش على بعض جبالهم المنحوتة التي مر ذكرها ومعظمها بالخط الثمودي ، وهناك بعض خطوط مطموسة ربما يرجع عهدها الى ما قبل دولتهم وبعضها نبطية ، أما آثارهم البنيانية ومتاحفهم فقد ابتلعها الأرض حين نزل بهم العذاب

وتزلزلت أرضهم وما عليها ، وهذه قد يظهر بعضها اذا ابتدأ الحفر والتنقيب .

هـ - أسماء مدنهم وسهولهم وجبالهم وأمكنثهم . وهذه أيضاً غير ثابتة الا بالقرائن والتطبيق في بعضها ، والأخذ من أفواه البدو الرحل والمجاورين لمناطقهم وحدودهم . كذلك القرى التي ذكرها المؤرخون لا وجود لها مطلقاً اذ لا ترى غير الحجر وما به من قرى مدمورة أو زروع محروقة الخ كما مر .

و - أما بقيتهم فقد وضحت لك ما فيه الكفاية وكذلك قبائلهم المنقرضة قد مرت بك أيضاً ، وأكبرها قبيلة (بنى غنم) وتبين لك فروعها وأصولها فيما مر من قبائل ثمود ، والذي بقى من عقبهم (قبائل ثقيف) وجدهم أبو رغال وكان مقيماً بالحرم ، هو وذريته وقد أهلكه الله حين نزول العذاب وبقيت ذريته مقيمة بجبال الطائف وما حولها من القرى ، وأبو رغال من الكفار الذين كفروا بصالح وأهلكه الله كما أهلك قومه ، وبقيت ذريته بالطائف وأما من تبقى من عقب المؤمنين من قوم صالح عليه السلام فكثير ، وقد مر بك أن عدد المؤمنين كان يزيد عن أربعة آلاف مؤمن وقد رحلوا جميعاً معه بعد هلاك قومهم ونقلوا معهم ما قدروا أن يحملوه من متاع وأثاث وقد مر بك أن صالحاً عليه السلام طاف بالبلاد العربية مع قومه المؤمنين ، فأول ما مر برملة فلسطين واستأذنه نفر من قومه بالبقاء فأذن لهم ثم مر بأرض عدن قبل أن يدخل حضرموت فاستأذن نفر من قومه بالبقاء بها فأذن لهم فمكثوا هناك حتى كثروا وصار من نسلهم فيما بعد أصحاب البئر المعطلة التي ذكرها الله في القرآن الكريم ، وفرقة من المؤمنين استأذنت بالسفر الى الرس فأذن لها كما قاله

ابن جبير ، وغيره من المؤرخين والنسابين ، فأصحاب الرس ، أصلهم من قوم صالح من المؤمنين منهم ، واستأذنوا نبي الله صالحاً عليه السلام في الرحيل الى بلد يستعيشون فيه فأذن لهم ، فنزلوا فلج اليمامة .

والرس رسان ، رس (فلج اليمامة) وساكنوه من قوم صالح من الفرقة النازحة عن البلاد بعد هلاك قومهم بالحجر .
والرس الثاني (رس حضرموت) وهذا ذكره ابن عباس رضى الله عنهما ، وساكنوه أيضاً من قوم صالح من المؤمنين النازحين عن الحجر بعد الصيحة وهلاك الكفار من قومهم .
أما الرساس الأخر فلا علاقة لها بقوم صالح ولهذا لم نذكرها واكتفينا برساس المؤمنين من قوم صالح .

وبعض من المؤمنين المستضعفين ، النازحين عن ديارهم بعد العذاب نزلوا بالبحرين واستوطنوها ومن عقبهم (بنو عبد القيس) .

لكن السواد الأعظم من قومه المؤمنين رحل معه الى حضرموت ولما استقر به النوى توفاه الله ودفن فيها ولذلك سميت (حضرموت) ، ومكث المؤمنون من قوم صالح بحضرموت الى ما شاء الله وبنوا فيها مدينة كبيرة أسموها (حاضوراء) .

أما الفرقة التي نزلت البحرين من قوم صالح واستوطنت أرخبيله فهم من المؤمنين أيضاً ومن عقبهم (قبائل عبد القيس) ، وهذه الفرقة لها آثار وحفريات بالبحرين منها بعض العيون والآبار كما أنها سمت بعض جزر الأرخبيل باسم (نبي الله صالح) ●

تذييل هام آخر الاكتشافات في المنطقة سنة ١٣٩٩ هـ

تم العثور في سنة ١٣٩٩ هـ على حجرين هامين في منطقة تيماء .

الأول : حجر طوله حوالي ٩٠ سم عليه بعض الكتابات الآرامية وفي الوجه الآخر بعض الرسوم والطقوس الدينية تنتمي للأشوريين في العراق والشام ومصر والجزيرة العربية ويرجع تاريخ الأثر الى ٢٦٠٠ سنة . وعلى نفس الحجر وبعد ٥٠٠ سنة أي في القرن الأول قبل الميلاد كتابات بالخط اللحياني .

الثاني : قاعدة حجرية مستطيلة الشكل ارتفاعها حوالي ٦٠ سم تحمل واجهتين من واجهاتها الأربع رسوماً نحتية غاية في الابداع . وتتضمن الواجهتان المرسومان شكلاً متقناً لأحد المواشي وأمام الماشية رجل يقدم قرباناً – وتعلو هذه الواجهة نفس الطقوس الدينية التي وجدت على الحجر الأول – وهذا يدل على اتصال الأثرين ببعضهما ببعض .

أما الوجه الآخر للحجر الثاني فيحتوى على رسوم مختلفة لحيوانات وأشكال معروفة في اطار المعابد الدينية .

تم اكتشاف الأثرين بتيماء – كما صرح الدكتور عبد الله حسن مصرى مدير ادارة الآثار والمتاحف الشعبية لجريدة الرياض . ونقل الحجران الى الرياض لتحليلهما وقراءة الكتابة الآرامية التي عليها .

راجع جريدة الرياض عدد ٤٢٢٦ وتاريخ ١٣٩٩/٦/٤ هـ .



« جبل خريمات »
واجهة ضريح غير مكتمل في



وابحات أضرحة نعتت على الناحية الغربية من جبل قصر البنت

القصر الفرید « أبو لوجه »

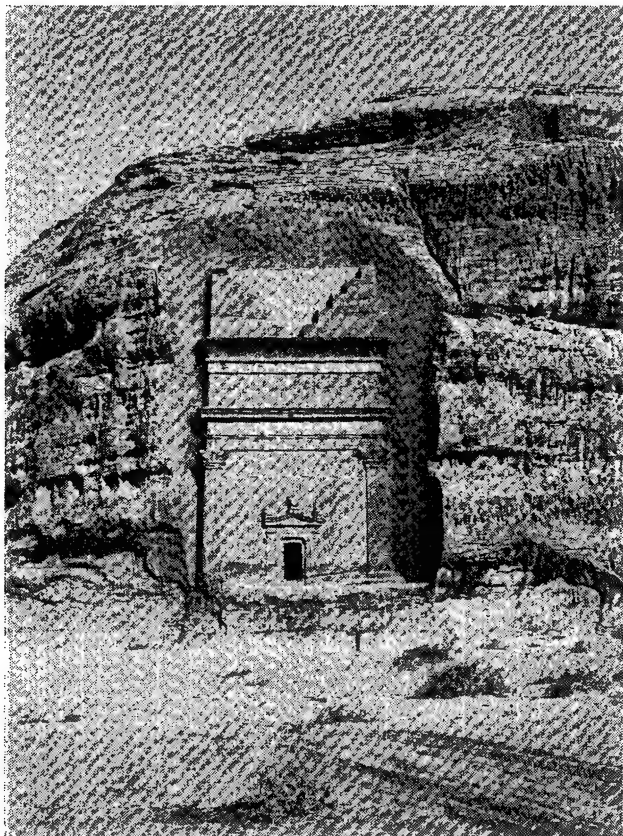




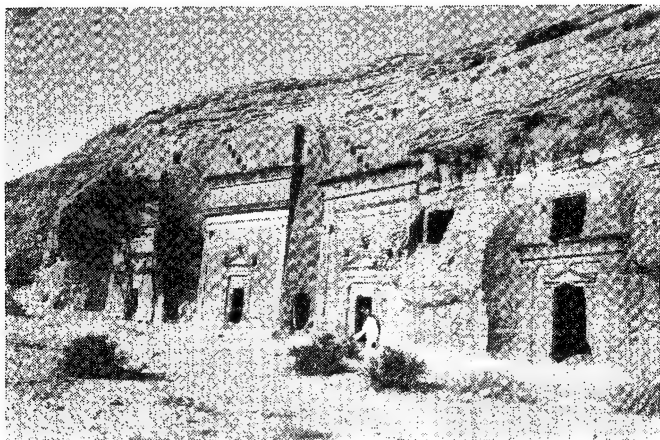
واجهة ضريح في الجهة الغربية من قصر البنت حيث تبدو زخرفة القوس فوق المدخل ..

البدع : بعض المقابر النبطية من العصر الاول

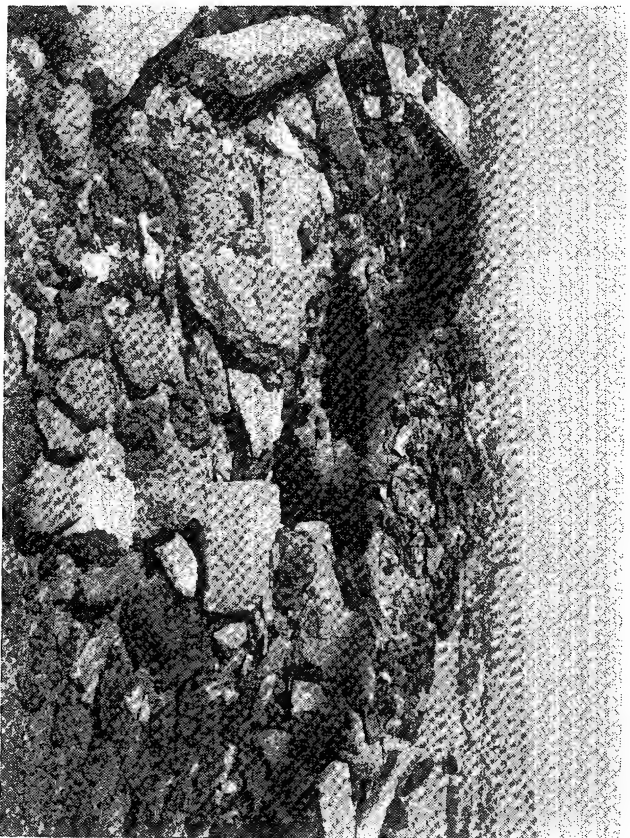




ضريح مدرجّ الواجهة منحوت في الصخر
بمدائن صالح



أنصاب تذكارية رائعة تكشف عن مهارة النبطيين و ثرائهم
بعضها مدرّج الواجهة وبعضها ذو شرفات مفرّجة



صورة من بقايا معبد وثني قديم للمعبود « صلم » بقمة جبل غنيم

(نقوش ثمودية)



𐩦𐩦𐩧𐩨

𐩦𐩧𐩨𐩦𐩧𐩨𐩦𐩧𐩨𐩦𐩧𐩨𐩦𐩧𐩨

𐩦𐩧𐩨𐩦𐩧𐩨𐩦𐩧𐩨

نقش ثمودی تیماوی

لذباب بن حجاج من قبيلة سامع ال عبدت صلم لتوی

𐩦𐩦𐩧𐩨𐩦𐩧𐩨𐩦𐩧𐩨

𐩦𐩧𐩨𐩦𐩧𐩨𐩦𐩧𐩨

نقش ثمودی نجدی

عوا بنت رشا تود قم الحبيب

ه ت ث ج د ه و

نقش ثمودی حجازی

ود فا رخام

(نقوش لحيانية)

ا ب ج د ه و

ز ح ط ي ك ل م ن

ه و ز ح ط ي ك ل م ن

ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن

ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن

ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن

شاهد قبر لحياني

١ - كتب هذا شيعة = أتباع

٢ - علي إله كعمان

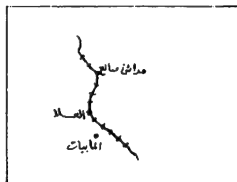
٣ - الذي قعد كله = مات

٤ - فياقوة ذو غبت

٥ - إمنعى من يحاول شراً أو عبثاً بهذا

مدائن صالح

کتابات قصیدہ



۱۔ کتابت قریہ

کتابخانه قدیمہ

منفعة أثرية

کتابت احمدی

قصر فهد

تصريحاً

٥٠

مرکز ابحاث و تحقیقات

منطقه التربة

تلمعة أفصح

زرو فے

أبولو (الشمس والفريد)

٦. ٥. ٤. ٣. ٢. ١. ٠

الفهرست

صفحة

٣

مقدمة :

٣٣-٩

١ - تمهيد عن ثمود :

٩

في القرآن الكريم

في كتب التراث العربي :

١٣

أ - في التفسير والحديث

٢٥

ب - في التاريخ والسيرة

٢٩

ج - في الشعر والنثر

٣١

نظرة نقدية

٣٩-٣٤

٢ - دولة ثمود :

٣٥

مركز ثمود التجاري

٣٧

أثر الأنباط

٣٨

ثمود والغزو البابلي

٦٤-٤٠

٣ - معجم المدائن :

بتراء ٤٠ - بدا - براق ثجر - بصاق ٤١

بلاكث - تبوك ٤٢ - تيماء ٤٣ - جمع ٤٤ -

الحبر - الحجر ٤٥ - حسمى ٤٨ - حقل - حقل

قبا ٥٠ - خيبر ٥٢ - الرضىة ٥٣ -
 الرس ٥٤ - الشغب - الشوىة - صفراء
 الملح - عراب ٥٥ - عرنان - فذك ٥٦ -
 قنة الحجر - قنين ٥٧ - مطلوب ٥٨ - النعف
 - وابش ٥٩ - وادى برمة - وادى الحجر ٦٠
 - وادى الدوم - وادى القرى ٦١ - وادى
 قرح ٦٣

١٠٠-٦٥

٤ - المعالم والآثار :

فى كل جبل مسكن ٦٦ - جبل شاهق - نقوش
 فى هذا الجبل ٦٧ - الوادى المشؤوم وبئر الناقة
 ٦٨ - ملوحة الماء بعد العذاب - الجبال
 الشامخة ٦٩ - شكل محاريب - مؤرخ
 صحراوي يقر الأسماء ٧٠ - وادى الرجم ٧٤ .
 الجبال وأنواعها : ٧٥ جبل الذهب - جبل
 الطيور ٧٦ - جبل صرخود - جبل بلاعم -
 جبل دحدر ٧٧ - جبل الكهوف - جبل بكرة
 ٧٨ - جبل جنيدع ٧٩ - جبل العذاب ٨٠
 الجبال النصفية ٨١ - جبل المروج ٨٣ -
 جبال الأثالث ٨٤ - الصخور المنقوشة ٨٥ -

- نوافذ الجبال - الشعاب ٨٦ -
 الأودية ٨٧ - المحطات المسكونة ٨٨ - الزروع
 المحروقة ٨٩
 القبور ٩٠ - المداخل ٩١ - النوافذ والأبواب
 - الغابات ٩٣ .
 النقوش والكتابة : الأبجدية الثمودية ٩٤ -
 اللغوية الثمودية ٩٦ - المعبودات الثمودية
 ٩٧ .
 المحافظة على الآثار - من بقى من قوم ثمود
 ٩٨ - القبائل ١٠٠ .

٥ - الرحلة : ١٠١

- كيف كانت رحلتى ١٠٣ - السفر الى معان
 ١١٧ - المستر « جلوب » ١٢٣ - السفر الى
 المدورة ١٢٥ - خليج العقبة ١٢٩ - ذات الحاج
 ١٣٠ - مع ابن غريص ١٣٩ - الصيد ١٤٣
 - على ظهر الكثيب ١٤٤ - ليلة في المطر ١٤٦
 - السيل الكبير ١٤٧ - صاحب الفرزدق ١٤٨
 الملا ١٥١ .

الرحلة الى المدينة ١٥٦ - صدق الله ١٥٨

١٦٢

تذييل هام

الصور

- ١٦٣ واجهة ضريح غير مكتمل في « جبل خريمات »
١٦٤ واجهات أضرحة في « جبل قصر البنت »
١٦٥ القصر الفريد « أبو لوحة »
واجهة ضريح في الجهة الغربية
١٦٦ من قصر البنت
١٦٧ البدع : بعض المقابر النبطية
١٦٨ ضريح مدرج
١٦٩ أنصاب تذكارية
١٧٠ صور من بقايا معبد وثنى قديم

المرسمات

- نقوش ثمودية :
١٧١ نقش ثمودي تيمائى - نقش ثمودي نجدى
١٧٢ نقش ثمودي حجازي
١٧٢ نقوش لحيانية : شاهد قبر لحيانى
١٧٣ نقش لحيانى دادانى - نقش دادانى
١٧٤ خريطة مدائن صالح

تصويبات

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
هلاكمهم يوم الأربعاء	عقرها يوم الأربعاء	٢٨	١٤
واليك	اليك	٤٠	٥
أواخر	الى أواخر	٤٤	١١
بالشامخ	بالشامخ	٤٦	١٢
ومنحوث	ومنحوت	٦٩	٢٠
واجهتين	على واجهتين	١٦٢	١٢
الواجهتان المرسومان	الواجهة المرسومة الأولى	١٦٢	١٣

طبع بمطابع الروضة - جدة

تليفون : ٢٧٩٢١-٣٦٧٤٩

المؤلف بقلمه...



لقبوله في مكة المكرمة في شهر ذي القعدة
 سنة ١٢٢٢ هـ ورجل إلى الوالد رحمه الله
 إلى الزيمة قبل اليوم السابع منه ولدتني
 حيث أوردني عند القنارية أمراء هذه
 الضاحية الجميلة اذ قاموا بإرضاعي مع
 فلزات ألبادهم وكان يرافقني في الرضاعة
 من القنارية أخي محمد حاتم به ملبس والسبب في ذلك
 هو مرضه والدني رحمه الله - ولدت لي أخوات من القنارية
 يكنى هذه الضاحية - ولقد عدت بالزيمة لما عاينها
 من العمر ثم جئت إلى مكة المكرمة حيث قضيت بمرحمتي ما بينه مدرسة
 الخياط وآشية الفقيهية وكان نصيب الفشل والهروب دائما
 إلى الزيمة وأخيرا أدخلني المرحوم الوالد مدرسة الفدح في ولاية قصر
 سنة ١٢٤٤ هـ حيث أدرجني في قسم حفاظ القرآن الكريم وفي سنة ١٢٤٤
 هـ نجحت في الثانية الابتدائية وهذا حتى تم التخرج في عام ١٢٥٠ هـ
 ولقد كنت بالتدريس في الفدح والخبرة لمدة عامين مع القيام برحلات
 داخلية - وفي أوائل عام ١٢٥٢ هـ تمت برحلة إلى الهند وبرتا وسيد
 وسيام والفلبيين واليابان وحضر الهند الشرقية ثم رجعت إلى الوطن
 واشتغلت بالتجارة والرحلات ثم انتدبت المرحوم الحاج محمد علي نزيل مير المدرسة
 بانزعم بعده فتمت برحلات إلى جنوب شرق إفريقيا ثم جاءت الحرب الثانية فقصت
 من العسر والعناء وأستأفوا المرحوم الأمير منصور بن عبد العزيز ثم استقلت ورجلت
 ورجعت إلى ما كنت عليه في الساحة والتجارة ولدت كذلك إلا أن الله ~~صلى~~